

## صورة المسلم في مذكرات أسرى إيالة الجزائر: مقاربة صورولوجية (1837-1769م/1183-1253هـ)

The Image of the Muslim in the Memoirs of captives in Algeria Eyalet :  
A Imagology Approach (1183- 1253 AH/ 1769- 1837 AD)

د/ حسين بويدي

Hocine BOUBIDI

جامعة عبد الحميد مهري - قسنطينة 2

مخبر الدراسات والبحوث في حضارة المغرب الإسلامي

hocine.boubidi@univ-constantine2.dz

تاريخ الإرسال: 2023/05/05 تاريخ القبول: 2024/01/21

### الملخص:

خلف الأسرى الذين عاشوا بالجزائر في العهد العثماني العديد من المذكرات التي تمثل اليوم مصادر بالغة الأهمية لكتابة تاريخ الجزائر الحديث، ونتيجة حالة الأسر وما يصاحبها من ظروف نفسية، فإن الانطباعات التي كتبها هؤلاء الأسرى لم تكن مجرد تدوين يسجل الأحداث التي شاهدها، بل تعبيراً عن أحكام أطلقها هؤلاء الأسرى على الدولة والشعب الذي يعتبرونه السبب في مأساتهم وبعدهم عن أهلهم وألمهم، وتهدف هذه الدراسة إلى فحص هذه الصور التي دونها الأسرى الأوروبيون والأمريكيون على الجزائريين باعتبارهم شخصاً مسلماً، فقد كانت نظرتهم تقوم على أن الدين الإسلامي هو الذي يملئ على الجزائريين تصرفاتهم، ويتحكم في نمط حياتهم ونظرتهم للأشياء، ومن خلال اعتماد المقاربة الصورولوجية سنكشف الفرق بين ما هو تاريخي في هذه المذكرات وما هو استمرار للصورة النمطية التي حملها المسيحيون الأوروبيون عن الإسلام والمسلمين منذ العصور الوسطى، وخاصة منذ الاحتكاك العنيف في فترة الحروب الصليبية، حيث بقيت هذه الصورة راسخة في المخيال المسيحي حول الإسلام.

**الكلمات المفتاحية:** الأسرى؛ العهد العثماني؛ الصورولوجيا؛ جون فوس؛ جيريت ميتزون.

### Abstract:

The captives who lived in Algeria during the Ottoman era left many memoirs which today represent extremely important sources for writing the history of modern Algeria. Due to the condition of being captives and the accompanying psychological circumstances, the impressions recorded by these captives were not merely a historical record of the events they witnessed. Rather, they were an expression of judgments that these prisoners launched against the state and the people they considered to be the cause of their suffering and separation from their families and their pains. This study aims to examine these images that European and American captives recorded about Algerians as Muslims. These captives believed that Islam was the religion that dictated Algerians' behavior, controlled their way of life, and their perspective on things. By adopting a Imagology approach, we will uncover the difference between what is historical in these images and what is simply a continuation of the stereotypical image that European Christians have carried about Islam and Muslims since the Middle Ages,

especially since the violent encounters of the Crusades, where this image remained entrenched in the Christian imagination about Islam.

**Key words:** The captives; Ottoman era; Imagology; John Foss; Gerit Metzou.

### مقدمة:

وظفت مذكرات أسرى الجزائر في العهد العثماني ضمن العديد من الأبحاث التاريخية، وتم الاستناد إلى ما دونه كتابها للكشف عن الأوضاع السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية بالجزائر في تلك المرحلة، وذلك لما تضمنته من مادة تاريخية بالغة الأهمية، فاعتبرت من المصادر المهمة لكتابة تاريخ إيالة الجزائر<sup>1</sup>، كما حظي الأسرى أنفسهم بدراسات عديدة تلمّست أوضاعهم انطلاقاً من مصادر مختلفة، حيث قدمت كتاباتهم معلومات كثيفة في الموضوع، بالإضافة إلى ما قدمته المصادر النصية الأخرى التي تعود للفتن والرحالة ومفتدي الأسرى والمهتمون بالعلاقات بين الجزائر والعالم الغربي، فضلاً عن المادة الأرشيفية<sup>2</sup>.

من خلال أساليب النقد التاريخي؛ فإن استدلال الباحثين العرب بهذه المذكرات لم يخل من النقد، وتم التعامل مع انطباعات كتابها وأحكامهم على المجتمع الجزائري وعقائده الدينية وأعرافه الاجتماعية ونظامه السياسي بحذر، وتم التنبيه إلى الصورة النمطية التي تحكمت في المنتج التاريخي والروائي الغربي حول الجزائر، وهي الصورة الموروثة عن الصراعات العسكرية القديمة منذ زمن الحروب الصليبية، والتي تدعت زمن التوسعات العثمانية في شرق أوروبا، وبالتالي تشكلت سردية عامة حول المسلمين كرموز للتعصب والوحشية والتخلف وغيرها من الأحكام القيمية السلبية، وتأتي إشكالية هذه الدراسة لتسأل: إلى أي مدى تحكمت ظروف الأسر والخلفية التي حملها الأسرى عن المسلمين عموماً وعن الجزائريين خصوصاً في رسم الصور التي قدموها في كتاباتهم؟ وماهي مظاهر هذا التصور النمطي عن الآخر المختلف دينياً وحضارياً والعدو المحارب عسكرياً؟ وهل ألفت هذه الخلفية بظلالها على المشاهدات الخاصة التي دونها الأسرى انطلاقاً من تجربتهم الحياتية تحت الأسر؟ وإلى أي مدى كان يمكنهم التحرر من كل هذه الإكراهات النفسية والحضارية وتقديم شهادات إيجابية عن الجزائريين؟

إن موضوع صورة المسلم باعتباره "الآخر" في الكتابة الغربية قد حظي بالعديد من الدراسات كما سيأتي بيانه، أما صورته في الفترة الحديثة فقد حظيت بدراسة هامة للباحث التونسي: حسام الدين شاشية في مقال حمل عنوان: "صورة المسلم في المخيال الغربي خلال الفترة الحديثة: تجذر القلق"<sup>3</sup>، والتي شملت دول المغرب العربي، واعتمدت أنواعاً مختلفة من المصادر الأوروبية، في مقدمتها المصادر الإسبانية، وتأتي هذه الورقة لتقتصر على مذكرات الأسرى وعلى الجزائر بشكل خاص، من أجل تركيز الضوء المسلط على هذه الصورة وفحصها على ضوء المقاربة الصورولوجية.

تهدف هذه الورقة إلى قراءة هذه المذكرات من زاوية تمزج بين حقل التاريخ والنقد الأدبي، عبر البحث عن الصور التي قدمتها للجزائري باعتباره مسلماً، واستنباط المعايير المعتمدة في الأحكام القيمية التي أطلقت عليه، وبيان الدور الكبير للصور النمطية المتشكلة في الغرب على مضامينها؛ وذلك عبر توظيف الصورولوجيا كأداة لمقاربة هذا النوع من النصوص الأدبية، في محاولة لفهم النوازع الدافعة إلى تلك الانطباعات، والكشف عن السردية الفاعلة خلفها، ومحاولة فهم طريقة تمثيل الأسير الغربي للآخر المسلم، ما يسمح بتفكيك المعطى التاريخي وقراءته في دائرة تجمع بين: الحدث، النمط، الوعي، الإدراك،

## صورة المسلم في مذكرات أسرى إيالة الجزائر: مقارنة صورولوجية (1183-1253هـ/1769-1837م)

التخيل وغيرها من العوامل القابضة خلف تشكل هذه الصورة، وفي نفس السياق سنعمل على إبراز الصورة الأخرى المقموعة، من أجل المقارنة والنقد.

ولأن منطلق الدراسة هو الأسير الذي يمثل "الأنا" والجزائري المسلم الذي يمثل "الأخر"، فسيتيم تجاوز التصورات التي تنطلق من صفات أخرى مثل: تركي، كرغلي، عربي، قبائلي، حضري، ريفي، جبلي وغيرها من التوصيفات التي تستدعي نظرا مغايرا، باعتبارها تعبيراً عن التجربة الذاتية للأسير، أكثر من كونها تجليا تابعا للنظرة الغربية المسيحية التي تستهدفها هذه الورقة بالبحث.

### 1. أهمية المقاربة الصورولوجية لمذكرات الأسرى:

تندرج الدراسة الصورولوجية/Imagology (دراسة الصورة الأدبية) ضمن حقل الأدب المقارن، وتهدف إلى تفكيك خلفيات تشكل التصورات التي تختزنها "الأنا" عن "الأخر"، والتي يتم التعبير عنها في المؤلفات الأدبية عبر انطباعات ورؤى وأحكام، كاشفة عن الطريقة التي يتمثل بها أصحاب الثقافات المختلفة بعضهم البعض، انطلاقاً من الانتماء الديني والشعور الهوياتي والوقائع التاريخية والمنظومات المعرفية الحاكمة في كل مرحلة، بما ينتهي إلى بناء مخيال اجتماعي عام ينتظم وعي الأفراد تحته، وتصدر آرائهم عنه، وهو يشبه عملية "التأطير الموجه" الذي يصعب تجاوزه، حتى لو بلغ مرتبة الأسطورة العابرة للزمان والمكان.

يرد الدارسون بداية الدراسات الصورولوجية إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر<sup>4</sup>، ومن داخل ثنائية الأنا والأخر يمكن تعريف الصورولوجيا باعتبارها كل صورة تنبثق عن إحساس مهما كان ضئيلاً بـ: الأنا بالمقارنة مع الآخر، وبـ: هنا بالمقارنة مع: مكان آخر<sup>5</sup>؛ وبالتالي فإن كل الصور تتولد من حالة من حالات الوعي القائمة على المقايضة في سياق جدلي، وهذه الجدلية مستمرة مادام الإنسان يحتك بالآخر الذي يقابله في مستويات عدة: ثقافة، جنس، دين، عادة...، وبالتالي يحكم عليه انطلاقاً من ذاته، ويحاكمه إلى معايير وقيمه، دون استحضار أثر التمايز متعدد الأبعاد في زيف هذه الانطباعات والتصورات.

إن الصورة الأدبية ليست مجرد انطباع آلي؛ ولكنها إعادة إنتاج للمعنى الخارجي اعتماداً على التداخلات والتفاعلات العميقة للمعطيات القبلية، سواء كانت مطلقة أو نسبية، وهنا نكتشف أن الصورة نتاج فاعلية الإدراك الحسي أو التخيلي، لمجموعة من الظواهر والأحداث التي تختزنها الذاكرة، وكثيراً ما تتحدد باعتبارها تمثلاً يحمل مزيجاً من المشاعر والأفكار التي يتعين القبض على تعبيراتها العاطفية والإيديولوجية<sup>6</sup>، لأجل فهم دلالاتها في سياقاتها التعبيرية، وتلمس أشكال الوصاية التي تمارسها الذاكرة الجمعية والشعور العام في تشكيل الإنتاج الأدبي الذي يعيد تقديمها باعتبارها وجهة نظر انطباعية، أو شهادة شخصية نتجت عن تجربة خاصة، وغالباً ما يتلقاها القارئ وفق هذا المستوى من الإدراك، ويوظفها الباحث باعتبارها موقفاً للكاتب وشهادة منه متجاوزاً ما يتخللها من إعادة إنتاج نفس المواقف والأحكام، بينما هي في الحقيقة "عملية نمذجة لصورة الأجنبي، يكون مبدؤها الأساس هو التمييز بين الإيديولوجيا التي تعيد وصف الغريب في المجتمع بألفاظ هذا المجتمع نفسه، وبين اليوتوبيا التي تعيد الوصف بمفردات غريبة تلائم الفكرة الغربية التي يحملها مؤلف ما (جماعة ما) عن الغريبة"<sup>7</sup>.

يتبين من الإيضاحات المفهومية السابقة أن الصورولوجيا نتاج للفارق الدال بين واقعين ثقافيين، أو بعبارة أخرى هي تمثّل لواقع ثقافي أجنبي يتمكن من خلاله الفرد أو الجماعة التي كونته (أو تقاسمته أو نشرته) من كشف وترجمة الفضاء الإيديولوجي الذي تتموضع فيه، وهذا ما يفتح الباب لدراسة مختلف

هذه التمثلات ضمن علم نفس الشعوب/الإثنوسيكولوجيا، وانتهاج أسلوب تاريخ الأفكار لفهم جذور تكون الآراء والصور وتطورها وانتقالها عبر الزمان والمكان<sup>8</sup>، وقد يمتد هذا الحفر التاريخي إلى أزمنة بعيدة خصوصا في المجالات التي شهدت استمرارية عدائية حتى مع تغيرات ثقافية عميقة، حيث تعيد الشعوب تعريف هوياتها لكنها تحتفظ بميراث صورها وتضيف إليه وتراكم عليه، ومن أمثلة ذلك أن دلالة الشرق والغرب التي تقدم في العصور الوسطى كإشارة للصراع الإسلامي المسيحي، ثم العثماني الأوروبي، ليس ببعيد عن ثنائية قديمة تجعل من بلاد فارس ومصر شرقا في مقابل الغرب المتمثل في الإغريق والرومان، بل إن الجذور الشرقية لحضارة قرطاج يجعل العديد يقرأ الحروب البونية في صراعها مع روما ضمن الثنائية ذاتها.

لا يمكن اعتماد المقاربة الصورولوجية إلا بإيضاح معنى الصورة النمطية التي تتشكل داخل العقل الجمعي باعتبارها موقفا من ثقافة مخالفة، ويعدّ المفكر السياسي الأمريكي والتر ليبمان/W.Lippmann أول من وظف هذا المفهوم داخل حقل العلوم الاجتماعية، وقد عرفها على أنها: صور داخل رؤوسنا تعدّ بمثابة خريطة للعالم تسمح بالتوجيه داخل المجتمع، فما دمنا نجد صعوبة كبيرة في تحديد الواقع في تعقيده، يتم خلق تمثّلات تبسيطية، تكون وسيطا بيننا وبين الواقع، فهي التي نتأثر بها وبواسطتها نرى العالم، أي أننا في نظرنا لا نرى ثم نحدد بعد ذلك، بل نحدد أولا ثم نرى العالم وفق تحديدنا<sup>9</sup>، ونتيجة نفوذ هذه الصور النمطية وتعاطي العقل الجمعي معها باعتبارها مسلمات قبلية لا تخضع لإعادة الدراسة والفحص والمسائلة، فإنها تستقر في اللاوعي لتؤطر الأفكار والمواقف والتعبير، وتنتج عنها الممارسات العملية، وتقدم نفسها لصاحبها باعتبارها مراكمة للخبرة الواقعية فيصدر عنها كأنه يصدر عن ذاته العاقلة لا عن سطوة التمثّلات القبلية في المجتمع، ولأننا أمام مسائلة منتج أدبي في قالب المذكرات التاريخية، فإن هؤلاء الكتاب يقدمون آرائهم على أنها ما عايشوه وجربوه، دون أن ينتبهوا إلى أن أحكامهم إنما لا تعدو كونها إعادة إنتاج مواقف سابقة تتخذ الحوادث التاريخية استدلالات لتأكيدا فقط، وهي بالتالي ليست مجرد مواقف فردية بل انعكاس لتصورات المجتمع الذي قدم منه هؤلاء الأسرى.

إن شيوع النمط في الصورة معناه أنها تؤدي رسالة واحدة وجوهرية، بسبب تحولها إلى صورة جامدة، تصلح لكل زمان، دون أن يطرأ عليها أي تغيير، وبذلك يبتعد النمط عن الصورة الحقيقية، ليفسح المجال للصورة المشوهة ذات الأطر الثابتة فيتوقف الزمن عند الماضي، وتغدو تعبيراً عن معرفة تسمى جماعية، تسعى كي تكون صالحة في كل لحظة تاريخية، فإذا كانت ليست متعددة الدلالات لكنها تبدو متعددة السياقات، إذ يمكن استخدامها في أية لحظة<sup>10</sup>، وإذا كان من الصعب القبض على اللحظة التي يمكن اعتبارها مؤسسة في تشكل الصور النمطية، باعتبارها تشكّلات متدرجة تعبر عن صيرورة تاريخية تستدخل الحوادث الواقعية والحكايا والأساطير المختلقة وما بينهما، ويتم ترسيخها عبر وسائل متعددة مثل القصص الشعبي، والبرامج الدراسية، والخطابات السياسية، والأدب الروائي، والمسرح، والأغاني...، وهكذا تتشكل سردية جمعية في شكل حقائق نهائية، وتتحول إلى "برامج توجيه فكري" يصعب على العقل الفردي الفكك منه<sup>11</sup>.

تغدو الصورة النمطية وفق هذه التوصيفات؛ صورة جامدة تتعالى على الواقع والتاريخ، وعلى ما هو ملاحظ ومعين، تكون مسبقا بمثابة حكم قبلي مشكّل عن الغير قبل معرفته، لتعبر عن انغلاق أمام هذا الغير ورفضه، وهي فكرة غير قابلة للدحض، وطريقة لاخترال الآخر في صفة سلبية والقول أنه أقل قيمة من الأنا<sup>12</sup>، وهكذا تؤدي هذه الصور دور الحارس للذاكرة من تحولات الزمان، الأمر الذي يجعلها

## صورة المسلم في مذكرات أسرى إيالة الجزائر: مقارنة صورولوجية (1183-1253هـ/1769-1837م)

حاضرة باستمرار، وديمومتها تعود إلى كونها لا تتعرض للطعن في وجودها من طرف الواقع والتجربة المباشرة، بل تستدخل كل الحوادث لتأكيداتها وتأكيد صدقيتها، لأنها تمارس دور القلب الموجه بطريقة لا تسمح بالتساؤل عن الواقع أو عن الحقيقة<sup>13</sup>، عبر نظر متجرد متحرر من هذا القلب، ذلك أن الفرد يشعر أن هويته ومبادئه وخياراته قائمة على معطيات تمثل صورة الآخر أحد أركانها، فهو على حق دينيا في مقابل الضلال الذي يدين به الغير، ومتقدم حضاريا على عكس البربرية والتوحش التي يرى بها الطرف المقابل، ويحتكم إلى نظم اجتماعية عادلة ومنضبطة خلافا للبدائية والفوضى التي يتمثلها في غيره، وهذا ينطبق على النظام السياسي بمختلف مظهراته، والعبادات والشعائر، وأشكال الأنشطة الاقتصادية، ومختلف العادات والتقاليد، بل إن لباسه ذاته وتسريحة شعره ستغدو نموذجا مثاليا ينظر إلى من لا يسايره فيه باعتباره صورة عجائبية تستدعي الازدراء والاحتقار.

إن هذه الصورة جزء من مجموع واسع ومعقد هو: المتخيل، وعلى وجه التدقيق المتخيل الاجتماعي، الذي هو التعبير - على مستوى مجتمع ما، أو جماعة ما، أو مجموعة اجتماعية أو ثقافية ما- عن ثنائية: الهوية/الغيرية، وله ارتباط وثيق بالتاريخ بمعناه الحديسي والسياسي والاجتماعي<sup>14</sup>، وبعيدا عن قيمة الخيال في عملية الفهم والإدراك، فإن ارتباط الصور النمطية به يجعل من المقاربة الصورولوجية للإنتاج الأدبي عن الآخر بالغة الأهمية، وإذا كان الدرس الأدبي قد اتخذها منطلقا لمسائلة النصوص القصصية والروائية والمسرحية وتلمس مظهرات تأثير الصورة النمطية المتخيلة في طريقة تقديم الآخر وعرضه أمام القارئ والمشاهد، فإن الدرس التاريخي أيضا يستفيد من هذه الأداة النقدية في تبيان عدم حيادية هذا النوع من النصوص (مذكرات الأسرى)، وحاجتها إلى محك نقدي قبل عملية الاستدلال والتوظيف، باعتبارها أحد أنواع التدوين الذي يحمل في طياته أثر السياق، وفي أحكامه - التي يتم تقديمها كمشاهدات وانطباعات ذاتية- انعكاس للثقافة الجمعية التي تشربها الكاتبة تحت مظلة المجتمع الذي ينتمي إليه.

## 2. صورة الشرق الإسلامي في الغرب المسيحي:

دشنت الفتوحات الإسلامية منذ القرن 1هـ/7م مرحلة جديدة في تاريخ الإنسانية، ومثلت الصدمات بين العالمين الإسلامي والمسيحي أحد أبرز تجليات هذه المرحلة، وبذل المسلمون منذ الدولة الأموية جهودا كبيرة للسيطرة على كل المجالات التي كان البيزنطيون يضعون يدهم عليها، وامتدت مخططات التطويق غربا إلى الأندلس، وبلغت بواتيه/poitiers سعيا لفتح روما والقسطنطينية بعد أن تعذر ذلك انطلاقا من الشرق، لكن المبادرة الإسلامية تراجعت لتفتح المجال تدريجيا لرد الممالك الأوروبية المسيحية التي أطلقت حملاتها الصليبية في محاولة استرداد ما فقدته في قرون التفوق الإسلامي، وصاحب هذا الجهد العسكري حالة تدافع شمل مختلف الجوانب الثقافية والاقتصادية.

أسهمت هذه الحوادث في تشكيل صورة نمطية عن "الآخر" عند طرفي النزاع، هذا الآخر المختلف دينيا، والخصم السياسي، والعدو العسكري، والمنافس الاقتصادي، ومع أن فترات من السلم قد كسرت هذا الوضع المتوتر، وسمحت بتبادل السفارات والهدايا والخبرات، بل وأقامت أحيانا تحالفات تجاوزت أطرافها الثنائية الأساسية: مسلم-مسيحي، نتجت عن الصراع الإسلامي-الإسلامي من جهة، والمسيحي-المسيحي من جهة أخرى، إلا أنها لم تهدم الصورة النمطية التي كانت تحفر طريقها في عمق العقل الجمعي لكل شعب من الشعوب، وفي هذا السياق تشكلت أسطورة الشرق في الغرب، وصارت محفزا أساسيا في عملية التعبئة السياسية والتحريض العسكري ضد العالم الإسلامي.

لعل من المهم الإشارة إلى أن الكنيسة عبر رهبانها وقساوستها كانت تسيطر على "صناعة أفكار الناس" في أوروبا الوسيطة، ولذلك يمكن القول أنها المسؤولة الأولى عن تشكيل الصورة الأوروبية النمطية عن الإسلام، وذلك عبر اللاهوتيين الذين كانوا يمثلون الثقافة المجتمعية، فقوة رجل الدين المسيحي ونفوذه الروحي والعقلي، وسيادة التعاليم التي يبثها عبر خطابه الديني ومن خلال مختلف المؤسسات الدينية التعليمية التي يديرها، والتي تتحكم في "سوق الثقافة الشعبية" تجعله المنتج الأول لهذه الصور والمرسخ لها<sup>15</sup>، وهذا الحكم ليس مجرد انطباع متشكل انطلاقاً من طبيعة المنظومة المعرفية الأوروبية في تلك المرحلة، بل تشهد له الكتابات الأوروبية ذاتها التي أدركت التوظيف السياسي والاقتصادي للخطاب الديني المستثمر في تكريس هذه الصورة النمطية، إذ نجد الرحالة الفرنسي لوجي دو طاسي/Laugier de Tassy في كتابه الذي صدر لأول مرة بأستردام سنة: 1725 يؤكد على أن تنظيمات فداء الأسرى المسيحية هي التي نشرت في أوروبا آلاف الحكايات الخرافية واستغلت العبيد المحررين في مشاهد تمثيلية من أجل جمع الأموال التي تدفع في رحلات الفداء، وأن هذه الأنشطة كرّست صورة من الرعب والازدراء نحو المغاربة، وجعلتهم في مخيلتهم بمثابة الوحوش، ودون أي منطق أو عقل أو معرفة بالله، وفي لفظة ذكية من المؤلف يؤكد أن هذه الصورة تنطبق على كل من يرتدي عمامة فوق رأسه، فكل من لبسها لا يمكن للفرد الأوروبي إلا أن يسقط عليه هذه الأحكام التي رسختها دعاية مفتدي الأسرى الإسبان<sup>16</sup>، ويؤكد الأسير الألماني سيمون بفايفر/Simon Pfeiffer أنه منذ طفولته كان يسمع الفظائع عن الجزائر<sup>17</sup>.

منذ القرن 15م كان العثمانيون يمثلون رقماً أساسياً في هذا الصراع، وجعلهم فتح القسطنطينية سنة: 1453م رأس حربة الأمة الإسلامية والمدافعون الأقوياء عن أرضها وأهلها، وهو ما أسس لوضع جديد تمكن فيه بنو عثمان من تدشين مرحلة توسعية في شرق أوروبا بلغت أسوار فيينا، وكبحت منذ بدايات القرن 16م الأطماع الإسبانية في بلاد المغرب الإسلامي، وأطلقت صراعا عنيفا في حوض المتوسط، وهو ما أضاف للمخيل الأوروبي عناصر جديدة؛ فاستدخل صورة التركي: القرصان، المستبد، المتوحش، المتعصب...، ضمن صور النمطية عن الشرق المسلم؛ هذا الشرق الذي صار علامة حضارية وليس موضعا جغرافيا، وبالتالي فإن مرحلة النفوذ العثماني هي امتداد لدى العقل الجمعي الأوروبي للصور التي رسمها للمسلم الفاتح المهدد للمسيحية وكنيستها ودولها وحضارتها، بل ووجودها.

حظيت صورة الإسلام في أوروبا في المرحلة المسماة: العصور الوسطى بدراسات هامة في العالم الغربي<sup>18</sup>، حيث سمحت دراسة المنتج الفكري لتلك المرحلة بتفكيك سياقات تشكل هذه الصورة ورصد طريقة تقديم الإسلام للفرد الأوروبي، والكشف عن أساليب التوظيف السياسي والتسخير للموقف الجمعي في منعطفات بالغة الأهمية مثل تسيير الجيوش في الحملات الصليبية، وما يتعلق بها من جمع تبرعات أدت أموالا طائلة على الكنيسة والسلطة السياسية الحاكمة، ومع أن هذه الصورة استمرت في كتابات الغرب في المرحلة العثمانية كما أشرنا سابقا، إلا أنها حملت خصوصيات بادرت بعض الأعمال إلى تسليط الضوء عليها<sup>19</sup>، ولا تزال هذه النصوص في حاجة إلى مزيد فحص من الباحثين العرب والمسلمين؛ سواء في حقل الأدب ضمن دراسة صور الغيرية، أو التاريخ باعتبارها من أهم المصادر التي يتم الاستناد إليها في الكتابة عن التاريخ العثماني، خاصة ونحن نشهد استمرار العالم الغربي في إنتاج صورته النمطية عن المسلمين من خلال المؤلفات والأفلام والخطاب الإعلامي والسياسي، ويستغل هذه الدعاية في تبرير ممارساته وخططه في مختلف البلدان الإسلامية.

### صورة المسلم في مذكرات أسرى إيالة الجزائر: مقاربة صورولوجية (1183-1253هـ/1769-1837م)

وتجدر الإشارة هنا إلى أن التهديد الذي مثله الإسلام بالنسبة للمسيحيين، لم يكن مرتبطا فقط بالقوة العسكرية العثمانية التي كانت تحمل لوائه وتدافع عنه، بل كذلك بطبيعة رسالة الإسلام العالمية، ما يجعله مهددا و منافسا للمسيحية التي كانت تطمح كذلك للعالمية والانتشار، سواء من خلال القوة العسكرية أو الحملات التبشيرية، لذلك تجاوزت المواجهة ساحة الصدام الحربي، لتشمل الأبعاد الفكرية و"الإعلامية"، والتي تقوم على دحض حجج الطرف المقابل، وإثارة الشبهات الدينية والأخلاقية حوله، بالإضافة إلى تضخيم التخويف منه<sup>20</sup>.

أطلقت الكتابات الأوروبية على المغاربة في الفترة الحديثة لفظ: الباربار أو البارباراسك، وقد استعمل هذا اللفظ بشكل مفرط حتى في المراسلات الرسمية، وهو تجسيد للصورة النمطية المشوهة القابعة في المخيلة المسيحية الأوروبية، وقد تم تكريسه من طرف دعاة الصليبية وحروب الاسترداد في محاولة لرسم صورة البربري المتوحش للأخر المسلم، وتجريده من أي صلة بالحضارة الإنسانية<sup>21</sup>، وقد عززت مساحات الاحتكاك المتوترة وخاصة في البحر المتوسط بناء نموذج تخيلي للقرصان التركي في الإيالات الشمال إفريقية المترصد لكل حركة مسيحية، لأجل إشباع نهمه في نهب المسيحيين واستعبادهم وإذلالهم، كما أسهمت جهود العثمانيين في إنقاذ الموريسكيين بالأندلس في بعث مخاوف المسيحيين من قدرتهم على صد توغل إسلامي جديد في شبه الجزيرة الإيبيرية، خاصة بعد النجاح العثماني في تخلص المدن الساحلية المسلمة من الإسبان وفرسان القديس يوحنا.

يمكننا القول أن قوة العثمانيين حولت "المسلم من عدو بعيد نسبيا أو عدو متخيل تسير الحملات الصليبية لمواجهته في الشرق، إلى عدو قريب أو عدو حقيقي"<sup>22</sup>، يشاهد المجتمع المسيحي آثار انتصاراته ومعالم قوته، فتتأكد له مخاوفه وهواجسه، وتترسخ الصورة النمطية أكثر، ثم يضاف إليها طبقات جديدة دمجت صورة التركي القرصان في صورة المسلم الشرقي الموروثة عن العصور الوسطى.

### 3. مذكرات أسرى إيالة الجزائر: المسلم في صور متعددة:

ينتمي أصحاب المذكرات التي تعمل هذه الورقة البحثية على كشف الصورة النمطية للمسلم فيها إلى عدة دول غربية، ويمتد الإطار الزمني لأسرهم من: 1769 إلى 1837، أي أنها تشمل 61 سنة الأخيرة من حكم الدايات لإيالة الجزائر، بالإضافة إلى السنوات السبع الأخرى التي استمر فيها الحاج أحمد باي يدافع عن قسنطينة إلى غاية سقوطها، وهذه المذكرات التي اتخذت كنماذج في هذه الورقة البحثية وفق ترتيب سنوات الأسر لمؤلفيها هي:

- مذكرات الأسير النرويجي: نيلز نيلسون موس/Nils Nilsson Moss : 1769-1772 في مدينة الجزائر<sup>23</sup>.

- مذكرات الأسير الفرنسي تيدنا/Thédnat: 1779-1782 في مدينتي معسكر والجزائر<sup>24</sup>.

- مذكرات الأسير الأمريكي كاتكارت/James Leander Kathcart: 1785-1796 في مدينة الجزائر<sup>25</sup>.

- كتاب جيم ويلسون ستيفن/James Wilson Stevens : 1785-1797 حول الأسرى الأمريكان بالجزائر استنادا إلى شهاداتهم ورواياتهم<sup>26</sup>.

- مذكرات الأسير الأمريكي جون فوس/John Foss : 1793-1795 في مدينة الجزائر<sup>27</sup>.

- مذكرات الأسير الهولندي ميتزون/Gerrit Metzton: 1814-1816 في مدينة الجزائر<sup>28</sup>.

- مذكرات الأسير الألماني سيمون بفايفر/Simon Pfeiffer: 1825-1830 في مدينة الجزائر<sup>29</sup>.

- مذكرات الأسير الألماني فنديلين شلوصر/Fandline chlossre: 1832-1837 في مدينة قسنطينة<sup>30</sup>. يلحظ الباحث وهو يطالع مذكرات الأسرى محل الدراسة وجود خيط ناظم بين أغلبها، وهو اهتمامها البالغ بالقارئ وطبيعة التصورات التي تنقلها له أكثر من اهتمامها بالتأريخ ورصد الوقائع، ذلك أن الانتقائية التاريخية تجعل من اختيار حوادث بعينها خاضعا لهدف الأسير من عملية التدوين، وذلك ما يتضح بجلاء في مقدمة جون فوس/John Foss لكتابه؛ حيث يذكر من البداية أنه إنما سجل مذكراته لمجرد الاحتفاظ بها لنفسه، لكنه بعدما أُنقح بنشرها فهو ينبه أن كل صفحة من صفحات هذا الكتاب يجب أن تستدعي من القراء دموع التعاطف، لأجل الحياة القاسية والمعاناة والتعذيب المؤلم الذي كان على الأسرى المسيحيين في مدينة الجزائر أن يتحملوه ويصبروا عليه؛ لأن أتباع محمد المستبدون كانوا من البرابرة الذين لا يرحمون<sup>31</sup>.

هذا الخطاب بطابعه الروائي يصدر ضمن كتابات تقدم باعتبارها مذكرات تاريخية تعني بعملية الرصد وحفظ الذاكرة، بينما ترمي إلى الحفاظ على صورة نمطية سابقة<sup>32</sup>، وتوجيه الرأي العام نحو أهداف سياسية أو المساهمة في تمويل رحلات الفداء، ومع أن هذه الورقة تجنبت الاستدلال بالروايات والنصوص المسرحية الغربية المتعلقة بالأسر<sup>33</sup>، فإن العين الفاحصة لا يمكنها أن تخطأ صور الحبكة القصصية والعقدة الروائية ومحاولات التأثير المسرحي ودلائل "التناص" حيث تكرر النصوص بعضها البعض، ومثل هذه الأحكام تأتي ضمن حالة أوروبية أشار المؤرخ مولاي بلحميسي إلى أنها أقرب للهستيريا من التاريخ، هستيريا نابعة من تصورات مرضية يمكن تسميتها بـ: "رهاب الجزائر"<sup>34</sup>.

### 3-1- الصورة الأولى: مسلمون متعصبون قبل كل شيء

تحرص مذكرات أسرى إيالة الجزائر على أن تؤكد للقارئ أن مجموع الصفات السلبية التي تقدمها لسكان إيالة الجزائر قد نشأت أساسا من تعصبهم الديني، فهم متوحشون وقساة ومستبدون لأنهم مسلمون متعصبون، ومرتشون وفاسدون ومخادعون للسبب نفسه، وجهال متخلفون وساذجون مغفلون لأنهم عاجزون عن تجاوز هذا المنظور الذي يرون به نواتهم والمختلف عنهم، فالإسلام المتعصب في هذه المذكرات هو السمة الأساسية لهؤلاء البربر الذين تم اعتبار الدين بمثابة الرابطة الروحية الأساسية بينهم<sup>35</sup>، أي أن أساس الانتماء الهوياتي عندهم هو إسلامهم، ومع وجود انقسامات داخلية ذات خلفيات عرقية أو اجتماعية أو طبقية بين الترك والكراغلة والعرب والقبائل والأندلسيين فإن كل ذلك يأتي تحت الانتماء الأعلى، ولعل من أهم ما يبرز علو الانتماء الديني على غيره ما يكشفه طبيعة توصيف الجزائري للأسير الغربي، فهو غالبا ليس الأمريكي ولا الإسباني ولا الفرنسي ولا الهولندي أو النرويجي، بل هو: الكافر أو المسيحي<sup>36</sup>، أي: هو الآخر دينيا؛ قبل أن يكون الآخر وطنا أو عرقا أو جغرافية.

لا بد أن نؤكد أولا على أن المذكرات تضمنت معلومات هامة تبرز الدور المركزي للإسلام في الحياة السياسية والاجتماعية بإيالة الجزائر، فعلى مستوى السلطة الحاكمة لاحظ سيمون بفايفر أن الداوي حسين (1818-1830م) عندما بلغه سير الأسطول الفرنسي لغزو الجزائر أذاع في المدينة "أن أسطول الكفار في طريقه إلى الجزائر الغالية على المسلمين جميعا ليهاجمها، ويركزوا صليبهم في أماكن الهلال ومواضع راية الإسلام المقدسة"<sup>37</sup>، وهذا الخطاب الذي يستحضر الحقل الدلالي للبعد الديني (الكفار، المسلمين، الصليب، الهلال، راية الإسلام المقدسة)، إنما يوجه للشعب الذي يجد فيه الدافع الذي يحركه للمقاومة والتصدي للعدوان، فالحماسة الدينية كانت هي المحرك الأساس لشحن هم الناس من قبل الداوي، وليس هذا من باب "الدعاية أو التوظيف السياسي" كما قد يبدو لأصحاب المذكرات، فقبل هذه الحوادث

## صورة المسلم في مذكرات أسرى إيالة الجزائر: مقارنة صورولوجية (1183-1253هـ/1769-1837م)

بعقود كان حسن باشا (1791-1798م) قد نبه المفاوضين الأمريكيين عندما توسط لهم لعقد اتفاقية سلام مع إيالة تونس أنه سيعمل ما يستطيع من الخير، لكن مع التذكير أنه "مسلم أولا وقبل كل شيء"<sup>38</sup>، أي أنه يضع مصلحة الإسلام كدين ومنتسبيه كأمة قبل أي مصالح سياسية أو تحالفات دولية، ولن يقبل أن تكون وساطته طريقا للإضرار بمصالح دولة مسلمة أو التقليل من شأنها أمام دولة مسيحية.

تتضح هذه الصورة بجلاء على مستوى الشعب، في صورة يرصدها شلوصر عن الاعتزاز بالإسلام من خلال تمييز المسلمين بأخلاقهم عن اليهود والنصارى، فمن أراد الإصلاح بين المتنازعين كان عليه أن يذكرهم بهذه الحقيقة؛ أي أنهم مسلمون يستطيعون فض النزاع وقطع الخصام ورد الأمور لنصابها، وليسوا يهودا أو مسيحيين حتى يرفضوا ذلك، وكان لهذا التذكير وقعه؛ إذ يتذكر من وقع بينهم العراك أو الخصومة أنهم مسلمون وإخوة ويتجاوزون المشكلة دون رفعها للقضاء<sup>39</sup>، وهذه الروح الدينية هي التي تقف خلف احترام الجزائريين لقضاتهم وفقهائهم لأنهم من أهل العلم الشرعي<sup>40</sup>، وتقديرهم لطلبة المدارس القرآنية ولو كانوا من الأطفال الصغار، وحرص العائلات على أن يكون أبنائهم من حفظته ومعاقبتهم على ذلك<sup>41</sup>، وتمنع من المس بالمجرم إذا احتفى في مسجد أو ضريح ولي صالح<sup>42</sup>.

بعيدا عن هذه الصور التي يمكن اعتبارها وصفية؛ يربط فنديلين شلوصر قسوة الجزائريين بدينهم بشكل مباشر، ذلك أن تأثير الإسلام عليهم - حسبه - هو ما يدفعهم إلى مطاردة المسيحيين ومحاولة إبادتهم<sup>43</sup>، وفي نفس السياق يؤكد جون فوس أن محمد من خلال كتاب القرآن هو الذي علم هذه "الذئاب المفترسة" أن مقاتلة المسيحيين هو الطريق المؤدي إلى الجنة<sup>44</sup>، وفي مختلف المذكرات ترد عبارات عديدة تبرز موقفاً جدياً عدائياً للمسلمين تجاه النصارى، الذين كثيراً ما يوصفون بالكلاب<sup>45</sup>، وهم مكروهون ومحقرون للحد الذي يجب عليهم الالتصاق بالحائط إذا مر أمامهم الجند بمختلف رتبهم، بل إن بعض المسلمين يتطهرون بالمسيحي واليهودي إذا كان أول من يلقونه صباحاً عند خروجهم لأعمالهم صباحاً، فيقطعون ما قصده ويرجعون للمنزل خشية من حادث غير سار<sup>46</sup>، ويبلغ التعصب تجاههم - حسب أصحاب المذكرات دوماً - أنهم لا يمكن أن ينالوا العدالة إذا اختصموا مع مسلم، لأن القاضي لن يعطي الحق لمسيحي<sup>47</sup>! وأن المساواة مع المسلمين القساة لا يكون إلا بدخول الإسلام<sup>48</sup>! بل إن المسيحي لا ينجو من عصبية المسلم حتى عند موته، فالى غاية بداية القرن 17م قبل شراء أحد الكهنة لقطعة أرض لتكون مقبرة لمن يأتيه أجله في الأسر كان لا يسمح بدفنهم بل تلقى جثثهم في البحر<sup>49</sup>.

تصور المذكرات الجزائريين جدياً راضين على ما يتعرض له المسيحيون من آلام الأسر، فالنساء تزغرد لوصول سفن تحمل الأسرى، وعندما يمرّون في شوارع المدينة يقابلون بالاستهزاء والشتائم<sup>50</sup>، ويصرح لهم قادة السفن التي أسرتهم أنهم يستحقون ما وقع لهم، لإصرارهم على اتباع دين المسيح ورفض الاعتراف برسالة محمد خاتم الأنبياء<sup>51</sup>، أي أن الموقف الديني حسب أصحاب المذكرات هو الذي يؤسس للمعاملة السيئة التي يرسمونها لظروف الأسر ومعاملة السجنانيين والمكلفين بحراستهم في أعمالهم.

إن هذه الصورة للمسلم المتعصب ليست سوى استمداد من الصورة النمطية عن المسلمين في عموم العالم الغربي كما شرحناه سابقاً، ذلك أن إيماننا بمركية الدين في البعد الهوياتي عند الجزائريين في تلك المرحلة، ينبغي أن لا ينسبنا سياق تشكل كل ذلك الحجم من "الحقد والكراهية" تجاه الآخر الغربي عموماً والأوروبي خصوصاً، ذلك أن مذكرات الأسرى إنما ترسم جزءاً من المشهد وتحاكم الظاهرين فيه إلى خيالاتها وأوهامها، فالمرحلة كانت تشهد صراعاً عسكرياً محموماً في حوض المتوسط، وتهديداً مستمراً بالغزو ترجم في عدة حملات طويلة مرحلة الجزائر العثمانية على مختلف المدن الجزائرية شرقاً وغرباً،

شملت مدينة الجزائر، عنابة، جيجل، شرشال، هنين، مستغانم، وغيرها من المدن، وبقيت وهران تحت الاحتلال الإسباني إلى سنة: 1792م، وكانت مأساة الموريسكيين وما يتعرضون له من طرف الإسبان الذين أمعنوا في اضطهادهم وتعذيبهم في محاكم التفتيش الدينية التي ارتكبت فيها إحدى أفظع صور الوحشية الإنسانية، مما يعزز مشاعر العداة تجاه هذه الدول التي تنصّر المسلمين بالقوة، وتسيء إلى مقدساتهم، أو تطردهم من أرضهم وديارهم.

ومن الحوادث التي تكشف تفريق الجزائريين بين من يسالمهم ومن يحاربهم، ما ذكره بفايفر عن الجنود الفرنسيين الذين ألقوا بهم سفينتهم شرقي العاصمة أثناء حوادث الحملة الفرنسية سنة: 1830م، فقد أكرمهم شيوخ القبائل الذين نزلوا في منطقتهم، وأحسنوا معاملتهم ظننا منهم أنهم إنجليز وأصدقاء للجزائر، إلى أن اكتشفوا أنهم من جنود وضباط البحرية في جيش الغزو<sup>52</sup>، فعاجلوه بالمصير الذي يستحقه العدو الغازي.

من جهة أخرى فقد حفظت لنا هذه المذكرات الدور الكبير الذي مارسه الوازع الديني في شحذ همم الجزائريين لمقاومة الاحتلال، وعزمهم التضحية بأنفسهم في سبيل التصدي له، وهو ما يبرزه بفايفر في حوادث غزو الجزائر<sup>53</sup>، وفي حصار قسنطينة سنة: 1837م رفض الشعب دعوات الاستسلام وتم تمزيق رسالة الفرنسيين التي حملت ذلك العرض في المسجد، ونال حاملها استحقاق الحضور، وتم تهديده بالقتل إن حمل هذه الدعوات مرة أخرى<sup>54</sup>، وقد ربط شلوصر هذا الموقف بالتعصب الديني الذي ما فتئت هذه المذكرات تذكر به؛ فكتب واصفا المشهد في المدينة:

"أغلب سكان المدينة كانوا من الطبقة الفقيرة والمتوسطة، لذلك كانوا متعصبين ومعادين للفرنسيين إلى حد كبير، ولو بلغ عدد الجيش مليون رجل، فإنهم كانوا سيبدلون أقصى جهدهم للمحافظة على المدينة، وكانوا يفضلون الموت على تسليم أنفسهم للفرنسيين، وكانوا قد أقسموا في المساجد كلها بأنهم على استعداد لخنق نسائهم وأطفالهم ثم البحث عن الموت في حراب الفرنسيين"<sup>55</sup>.

في سياق التأكيد على فاعلية الإسلام في رسم معاملة الجزائريين للأسرى أطبق أغلب أصحاب المذكرات على وجود نشاط دعوي يستهدفهم لأجل إقناعهم بالتخلي عن المسيحية، ومع أن هذه النصوص لا تقدم نقاشا عقديا أو مناظرات دينية تأتي ضمن مخطط واضح يستهدف نشر الإسلام بين الأسرى، لكنها تؤكد أن جميعهم تتم محاولة "إغرائه" بالأموال والديار والتزويج من نساء الطبقة الراقية أو صاحبات المواصفات الجمالية المغربية<sup>56</sup>، وقد حصل أحد الأسرى الهولنديين الذين أسلموا على دار بحديقة في قسنطينة، ووضع تحت خدمته مجموعة من العبيد، وتزوج من بنت أمين بيت المال<sup>57</sup>، وقد شهد شلوصر أن هذه الدعوة كانت تنطلق من حرية الأسير في الاستجابة لها أو ردّها، وقد صارحه الشيخ بن زعمون (ت: 1843م) أن تعاليم الإسلام ذاته لا تسمح بإرغام الناس عليه، مع أن الشيخ حزن حزنا عميقا لتمسك أسراه بمسيحيتهم<sup>58</sup>.

إن هذا التجميع لما تناثر في مذكرات الأسرى حول صورة المسلم المتعصب الذي يدفعه دينه لإيقاع الأذى بالأسرى يسمح لنا بالقول أن هذه المذكرات ليس سوى إعادة تدوير للصورة النمطية التي تحملها المجتمعات الغربية عن المسلمين، حيث لم تكلف نفسها فهم أسباب استحكام العداة نحو الدول الأوروبية، واستحضار الصراع الممتد عبر القرون، وحوادث العدوان المتكررة على المدن الجزائرية، وأوضاع الأسرى الجزائريين في أوروبا، ومعاناة الموريسكيين، ومع ذلك فقد أمكننا من خلال نفس النصوص الكشف عن دلالات أخرى لهذا التدين العميق عند الفرد الجزائري في العهد العثماني لم يكن من هدف

### ===== صورة المسلم في مذكرات أسرى إيالة الجزائر: مقارنة صورولوجية (1183-1253هـ/1769-1837م)

أصحاب المذكرات إظهاره، لكن القراءة الفاحصة أبرزته وسمحت بفهم دوره الإيجابي في سياقه التاريخي، دفاعا عن الأرض، وإصرارا على التضحية وعزيمة في المقاومة والجهاد.

#### 3-2- الصورة الثانية: قراصنة هدفهم النهب والسلب

يعود ظهور القرصنة في البحر المتوسط إلى العصور القديمة، وقد استعملت الكتابات التاريخية الأوروبية هذا اللفظ تعبيراً عن أحد مظهرات الصراع بين العالمين الإسلامي والمسيحي في العصر الوسيط، وقد ازدادت وتيرتها تدريجياً عندما تشكلت قوى متعددة تعتبر هذا النشاط أحد أشكال الحرب المقدسة في أوروبا، وصورة من صور الجهاد في الدول الإسلامية<sup>59</sup>، حيث تعزز التوجه نحو هذا النشاط بالنسبة للمسلمين في سياق التطلع الموريسكي للانتقام من التعذيب ثم التهجير الإسباني<sup>60</sup>، وكرّد على هجمات القوى الأوروبية وفي مقدمتها إسبانيا والبرتغال وقراصنة صقلية وقبرص وسردينيا وكورسيكا، بالإضافة إلى قراصنة مالطا المشهورين الذين عرفوا باسم: فرسان القديس يوحنا بعد أن استقروا بهذه الجزيرة عقب طردهم من جزيرة رودس على يد العثمانيين سنة: 1522م، ومنها شنوا حملاتهم على السفن التابعة للدول المسلمة، وسيروا غزواتهم تجاه تونس وطرابلس الليبية، وكانوا مدعومين من المؤسسة البابوية في الكثير من أنشطتهم الصليبية.

إن النشاط العسكري البحري للدول المغاربية كان في الحقيقة حركة دفاعية؛ فلم يكن هدفها مهاجمة العدو (دار الكفر) ونشر الدين الإسلامي وفتح بعض المناطق؛ بل اقتصر على الغزو البحري الذي يبحث عن إحداث نكايّة في خصم صارت له الأفضلية في التقدم تقنيا وعددياً<sup>61</sup>، وكانت دائماً مرتبطة بوضعية العلاقات السياسية بينها وبين الدول الأوروبية، وبالتالي فإن البحرية الجزائرية لم تتعرض للدول التي تقيم معها معاهدات سلام، لكنها بمجرد انتقاض الاتفاقية تصبح سفنها هدفاً مشروعاً، دون أن تعكس هذه التصرفات موقف الخلافة العثمانية، والتي وجهت عدة انتقادات لدايات الجزائر بسبب استقلالهم عنها في قرار السلم والحرب<sup>62</sup>.

تعمل مذكرات أسرى إيالة الجزائر محلّ الدراسة على تصوير القرصنة نشاطاً إسلامياً خالصاً، وهي تكرر بذلك الصورة التي ترسمها الدول الأوروبية وتجسدها من خلال جهازها الدعائي، ففي إسبانيا مثلاً كانت حفلات الموروس (المسلمين) والمسيحيين تكرر هذه النظرة عندما تقدم في مشاهدتها التمثيلية شخصية المسلم على أنه القرصان الذي يمثل رمز الشر والدين الزائف، ويهاجم السواحل الإسبانية لاختطاف الأطفال والنساء، بينما يمثل الإسباني صورة الرجل الخير صاحب الدين الحق الذي يتصدى للمعتدين<sup>63</sup>، وبالتالي يتم النظر إلى كل أعمال القرصنة المسيحية والهجمات على المدن الإسلامية باعتبارها ممارسات مشروعة لأنها مجرد دفاع عن المسيحيين ضد همجية "القرصنة" في الدول البربرية.

هذه المذكرات تجعل وصف القرصنة شاملاً لكل الجزائريين، فيصفون مدينة الجزائر بعشّ القرصنة اللصوص، وأهلها بالبرابرة البغيضين، الذين تعدّ اللصوصية والنهب مهنتهم المفضلة<sup>64</sup>، وهؤلاء الذين يمارسون السطو على سفن المسيحيين "أقرب ما يكونون إلى الشياطين منهم إلى الإنس"<sup>65</sup>، وقد أسهبت هذه المذكرات في وصف مشاهد الأسر، ومسارعة "القرصنة" الجزائريين إلى سلب الأسرى وتجريدهم من ثيابهم، واقتسام ألبستهم ومفروشاتهم وأثاثهم وبضائعهم وأدواتهم الملاحية ومختلف ممتلكاتهم<sup>66</sup>، وإبراز مركزية الغنيمة في هذا العمل تم توجيه عقل القارئ إلى أن النزاع سرعان ما يحدث

بين الأسرى حول ما تم نهبه<sup>67</sup>، بل إن الجزائر كدولة تتحول عند جيم ولسن ستيفن إلى مجرد عصابة تقوم على تسيير شعبها من خلال هذا النشاط، فهو يضع أمام القارئ هذه الصورة التي نقلها كاملة لأهميتها: "القرصان والتجارة: قليل ما يهتم الجزائريون بالفلاحة وتطوير بلادهم، وأن العبقرية الوحيدة تؤدي بهم إلى ما تدره القرصنة، وبالتالي أهملوا كل الموارد الداخلية أو الفوائد التي تزخر بها بلادهم، فالقرصنة أو اللصوص تشكل مثل الجمهورية الصغيرة، والتي يعتبر فيها الرايس أو القبطان الباشا الأعلى، هو ومن معه من الضباط الخاضعين له يشكلون نوعا من الديوان الذي تنقرر فيه كل قضية تتعلق بالسفن بطريقة استبدادية، فهؤلاء القرصنة مكونون وموجهون لجلب السلع المطلوبة إلى المملكة، إما عن طريق بضائع أو غنائم"<sup>68</sup>.

من وجهة نظر تتقاطع قليلا مع هذا النص في البعد الاقتصادي، لكنها تتجاوز نفعته الدعائية وإطلاقاته بالغة السذاجة والتسطيح، يشير كاتشارث إلى قضية مهمة جدا تعبر عن التداخل بين الشقين السياسي والاقتصادي في نشاط ما يصفه بالقرصنة في تلك المرحلة، وهي لفظة تعبر عن قراءة الحدث في سياقه التاريخي لمحاولة تفكيك ملامساته، فلم يعد المسلم قرصانا بطبعه، أو مدفوعا بدينه، بل يتم إعطاء تفسير للقرصنة على أنها نشاط تتم من خلاله إدارة العلاقات السياسية، ونسج التحالفات في البحر المتوسط بما يحقق الفوائد الاقتصادية، فالداي حسن باشا (1791-1798م) دافع عن عقد المعاهدة مع الولايات المتحدة الأمريكية؛ لأنها تتضمن تزويد الجزائر بالأجهزة الحربية والعنادر الحربية الذي يضمن استقلالها عن دول الشمال (الدنمارك والسويد وهولندا) في هذا المجال، وبالتالي فلا ضرورة لتجديد معاهدات السلم معها، ويمكن العودة لحالة الحرب بالتداول مع هذه الدول بما يحقق للإيالة موارد هامة من أموال الغنائم، بينما سيدفع استمرار مهاجمة السفن الأمريكية بهذه الدولة إلى تطوير أسطولها الحربي لحماية سفنها التجارية.

أما وجهة نظر الديوان فكانت تستند إلى نفس الأسس لكن من زاوية معاكسة، فقد أبرز الأعضاء عدم تحمسهم لعقد اتفاقية سلام مع الأمريكيين، وألحوا على الاهتمام بتجديد الهدنة مع البرتغال، لأن هذا يفتح المحيط الأطلسي أمام نشاط سفن البحرية الجزائرية التي يمكنها أسر السفن الأمريكية والبروسية وغيرها من الدول التي لا تملك قدرة على حماية تجارتها، وهو ما يكسب الجزائر غنائم غربية، تضاف إلى الفدية المتوقع تحصيلها من افتداء الأسرى الذين سيتم إلقاء القبض عليهم<sup>69</sup>.

إن هذا التفسير السياسي والاقتصادي للظاهرة، وارتباطها بحالة الحرب والسلم بين الدول، يسمح بفحص أعمق للملابسات الدافعة إليها من جهة، ويتيح لنا استيعاب هذا النشاط في تلك الظروف ضمن مفاهيم الجهاد والغنيمة التي تؤكد عليها الأبحاث التي تتبنى مصطلح: الجهاد البحري، ويؤكد من جهة أخرى التصوير المنحاز الذي قدمه أصحاب المذكرات، فكأن البحرية الجزائرية تمارس نشاطا متفردا بقطع الطريق على التجار في البحر، بينما تمارس الدول الأخرى وظيفة القوى الحامية لهذا النشاط.

إن هذه الصور التي ساهمت مذكرات الأسرى في ترسيخها عن وحشية قرصنة بلاد البربر، قد تم استحضارها في بداية الفترة المعاصرة في سياق التبريرات التي قدمتها الدول الاستعمارية لاحتلال الدول المغربية؛ أي بإعطاء تفسير يشر عن الغزو الاستعماري لأنه جاء لمواجهة خطر القرصنة المسلمين<sup>70</sup>، وحماية طرق التجارة من هجماتهم، بل إن بعضهم استند إلى نفس الحجج في إنكار المطالبة الجزائرية لفرنسا بالاعتذار عن جرائمها الاستعمارية، حيث تم العودة إلى نفس المبررات القديمة لرفض هذا الطلب، بل ومطالبة الجزائر بالاعتذار لجميع الأوروبيين عن قرون القرصنة، وتم الاستناد إلى نفس آلة الدعاية

### صورة المسلم في مذكرات أسرى إيالة الجزائر: مقاربة صورولوجية (1183-1253هـ/1769-1837م)

القديمة المتمثلة في كتابات أعضاء الجمعيات الدينية التي كانت تقوم بمهام اقتداء الأسرى المسيحيين، فاستحضروا أقوالهم بما تحمله من عبارات المبالغة والتحويل والاستجداء والتوسل.<sup>71</sup> لم يمنع بعض الأسرى ما عانوه في الجزائر من الاعتراف بشجاعة بحارتها، وجرأتهم في القتال، لكن جون فوس أعطى لهم صورة أخرى اعتبر فيها وصف الإسبان للجزائريين بالشجاعة وصفا خاطئا، لأنهم حسب مجرد جند جنباء، لكنهم غير مباينين بالمخاطر ولا مدركين للعواقب<sup>72</sup>، وهكذا تطغى إرادة التشويه لديه للحد الذي لا يمكنه رؤية أي شيء جميل في شعب وصفه في كتابته بمختلف نعوت الشر والهمجية.

### 3-3- الصورة الثالثة: برايرة، قسا، متوحشون

أهم ما ركزت مختلف مذكرات أسرى إيالة الجزائر العثمانية على ترسيخه في ذهن قارئها هو وحشية الجزائريين، ولو حاولنا تتبع مختلف لتوصيفات التي نعتوا بها لأفردنا هذا العنصر بورقة بحثية مستقلة، لكن سنكتفي بالإشارة إلى نماذج تمكن من إبراز ما انطبع في المخيال الغربي عن هذه الدولة التي اعتبرت: وكر اللصوصية وأرض العبودية، وموطن البرابرة الأجلاف، الهمجيون، المتوحشون الأشرار، القسا الذين لا يعرفون الرحمة، وهي ضمن نفس السياق الدعائي أشد دول البرابرة عنفا ضد الأسرى المسيحيين.<sup>73</sup>

لقد رسمت هذه الصورة للجزائريين انطلاقا من إسلامهم وعصبيتهم الدينية كما تم إبرازه سابقا، فأظهرتهم لنا في مشاهد تبدأ من لحظة الوقوع في قبضتهم، ومنذ هذه اللحظة تم تقديمهم في صورة الذئاب المفترسة عند اقتحام السفينة، والذين لا يكتفون بوضع اليد عليها، بل يبادرون الأسرى بالضرب والسب والشتم ومختلف أشكال الإهانات، والتهديد بأبشع أنواع القتل في حالة عدم الامتثال للأوامر.<sup>74</sup>

صورة المسلمين المكلفين بالأسرى في السجون وأماكن العمل هي أقصى ما يمكن تصويره عن القسا عديمي الرحمة، فهم - يحسب هذه المذكرات- تعمدون استمرار شعور الأسير بالإهانة والاحتقار، ويمعنون لأنفه الأسباب في الانتقام منه بالضرب والشتم وأشكال العقوبات القاسية؛ مثل: الفلقة (الضرب على أسفل الأرجل) والتقييد في الحديد والإلزام بجر سلسلة حديدية ثقيلة، والتكليف بالأعمال الشاقة وبنمط عمل لا يمكن تحمله خاصة مع سوء التغذية ورداءة الألبسة، وهو ما يؤدي إلى الموت في حالات كثيرة<sup>75</sup>، ولهذا اعتبرت هذه المذكرات أوضاع الأسرى المسيحيين "تعاسة تستحي منها البشرية"<sup>76</sup>، وأمام هذا المشهد يحرص جون فوس على أن ينبه من يقرأ له أن الجزائريين لا يلقون أي بال لموت مسيحي، لأن الأمر عندهم شبيه بموت حيوان.<sup>77</sup>

قد يبدو لقارئ هذه المذكرات أن ظاهرة الأسر تخص الدول التي وسمت بالبربرية فقط وفي مقدمتها الجزائر، بينما كان للجزائر أسراها في مختلف دول أوروبا، وكان لهؤلاء الأسرى معاناتهم التي تبلغ إلى مسامع الجزائريين وتصل تفاصيلها إلى الدايات، وقد كشفت العديد من الدراسات عن حجم هذه المعاناة، واعترف الأسير الفرنسي تيدنا في مذكراته أنه "يأمل أن يعامل العبيد من الترك والمغرب الموجودون بين أيدي الإسبان والنبوليتانيين والجنوبيين والمالطيين مثلما يعامل المسيحيون وهم بين أشخاص وصفوا بالوحشية، وذلك من أجل كل الانسانية"<sup>78</sup>.

في هذه المذكرات نعثر على صور مخالفة لما يراد ترسيخه عبر الأحكام التعميمية السلبية ذات الأثر البليغ عن القارئ، فالأسير النرويجي نيلز نيلسون موس التي سمى فترة أسره بـ "الرق الهمجي" يخبرنا أنهم كانوا يأكلون جيذا خلال مدة أسره على متن السفينة<sup>79</sup>، ونجد اعترافات مهمة من بعض

الأسرى حول التكفل بالمرضى من الأسرى بنقلهم إلى المستشفيات المخصصة لهم، حيث يتكفل بهم الأطباء الذين يعملون على مداواتهم وتوفير مختلف ظروف الراحة من أجل تعافيتهم، ويزورهم رجال دينهم للاطمئنان عليهم<sup>80</sup>، واعترف كاتشارث أن حالة من أسندت له أعمال في قصر الداوي أو كبار مسؤولي الدولة كانت مريحة، وأن الأسرى بالجزائر لا يتعرضون للعقوبات والتقييد بالسلاسل إلا في حالة ارتكاب جرائم معينة، وأنهم لا يكلفون بالتجديف في السفن كما هو الحال في أوروبا<sup>81</sup>.

هذه الشهادات تكشف بجلاء أن معاناة المسلمين الأسرى في أيدي المسيحيين كانت تفوق معاناة المسيحيين الأسرى في الجزائر<sup>82</sup>، وإذا كان لا يمكن الادعاء أن الأسر قد يتحول في أي سياق إلى حياة طبيعية خالية مما ينغصها، فإن المقارنة ضمن نفس الفترة التاريخية تبين مستوى المبالغة والدعاية التي تحرك كتابات الأسرى، كما أن استحضار الخصومات المتبادلة وتصفية الحسابات والانتقام والثأر يسمح بفهم أعمق لأسباب هذه الوقائع، ولعل من المفيد التنبيه إلى أن بعض أصحاب السفن التي أُلقت القبض على أصحاب هذه المذكرات، وبعض من تكفلوا بحراستهم في مراكز أسرهم كانوا هم ذاتهم أسرى سابقين عند المسيحيين<sup>83</sup>.

والذي لا شك فيه أن بعض الصور التي أوردها أصحاب المذكرات إنما هي تعميم لبعض الاستثناءات، فالمعاملة القاسية أثناء الأسر إنما تعبر عن ظرفية خاصة واحتياطات البحارة لمنع المقاومة والتجريد من السلاح في حالة وجوده، أما التقييد بالسلاسل أثناء العمل أو أثناء النوم فليس سوى أحد أشكال العقاب الذي قد يكون مرده بعض الجرائم أو محاولات الفرار وخاصة عندما تكون السفن الأوروبية راسية في الميناء<sup>84</sup>، ولأن هذا لم يكن وضع كل الأسرى؛ فإن ما أورده المذكرات هو عملية انتقاء مقصودة لأبشع ما يمكن استحضاره للإمعان في تأكيد وحشية الأسرى.

يمكننا القول باطمئنان أن أوضاع أسرى إيالة الجزائر لم تكن متشابهة، وأن من عاشوا تجربة السجن والأعمال المختلفة في رصيف الميناء وإصلاح السفن وتجهيزها وإنجاز الحصون والطرق والجسور كانوا يمثلون الفئة الأكثر تمثيلاً لقساوة الأسر، بينما تمتع الموظفون في قصر الداوي وغيره من أصحاب المناصب العليا في الإيالة بحياة مريحة، وكان يسمح لهؤلاء الذين يقعون مباشرة تحت تصرف هؤلاء السادة النافذين بممارسة أعمال أخرى خارج واجباتهم تكسيهم نقوداً قد تسمح لهم بشراء حريتهم، كما منح بعضهم حرية الحركة والاختلاط بالناس عند ضمان عدم هروبه، بينما عاش البعض الآخر حياة بائسة دفعتهم للمخاطرة بمحاولة الهروب رغم عواقبها<sup>85</sup>، ومن المفيد أن نورد هنا شهادتين في الموضوع صدرت عن شخصيات أوروبية تعقد مقارنة بين وضعية الأسير المسيحي في الجزائر ووضعية الأسرى المسلمين وغيرهم في أوروبا.

تتعلق الشهادة الأولى بالعالم الألماني ج. أو. هابنسترايث الذي زار الجزائر سنة 1732 وكتب: "قارنت حالة الشقاء التي عليها الجزائريون بمرسيليا مع وضعية الأسرى المسيحيين بشمال إفريقيا، فالأولون لا يستطيعون إلا بشق الجهد جر أغلالهم الثقيلة، بينما الآخرون وهم الأسرى المسيحيون في الجزائر يقضون نهارهم أحراراً مقابل دفعهم مبلغاً مالياً كل شهر، ليطلب منهم في المساء التوجه إلى مقراتهم التي لم تكن أبداً غير مريحة بالنسبة إليهم"<sup>86</sup>.

والشهادة الثانية للفنصل الأمريكي بالجزائر وليام شالر (1816-1824) بعيدة عنها بحوالي قرن من الزمان مؤكدة على نفس الصورة تقريباً حيث نقرأ له: " من الإنصاف القول أن حالتهم هنا لم تكن أسوأ من أسرى الحرب الذين يقعون في أيدي البلدان المسيحية المتحضرة (...)، والأشغال التي كان يطلب إلى

## صورة المسلم في مذكرات أسرى إيالة الجزائر: مقارنة صورولوجية (1183-1253هـ/1769-1837م)

الرجال القيام بها لم تكن مفرطة المشقة، والأسرى الذين يجدون كفيلا لهم يضمن عدم هروبهم كان يسمح لهم بحرية الخروج إلى حيث يريدون في مقابل دفع مبلغ 75 سنتيم في الشهر<sup>87</sup>.  
ثم يبين لنا شالر الفوائد التي يجنيها الأسرى إذا تمكنوا من تقديم خدمة للقيادات السياسية الجزائرية فيقول:  
"يوجد عدد من المناصب العليا التي كان يشغلها العبيد الذين كسب كثير منهم ثروات طائلة من ورائها، والعبيد الموظفون في القصر أو الملحقون بالشخصيات الكبيرة في الدولة يعاملون بأقصى اللطف، وبصفة عامة؛ فإن كل عبد له ميل إلى الحركة والعمل يجد الوسيلة لكسب رزقه، وباختصار فإنه وجد من العبيد من يغادر الجزائر وقلبه مفعم بالأسف والحسرة، وكثير من هؤلاء يحملون معهم أموالا طائلة عند رحيلهم عن البلاد"<sup>88</sup>.

هذه المذكرات لا تكتفي بتصوير قسوة المسلم في معاملته للأسير المسيحي، بل وفي تقديم مقاومته للمحتل ودفاعه عن أرضه على أنها تنم عن الوحشية المتأصلة في هؤلاء البرابرة الذين يتحمل دينهم قسوة طباعهم، وفي هذا السياق نلاحظ في مذكرات الألماني شلوصر الذي ألقى عليه الجزائريون القبض بعد أن تطوع لدعم جيش الاحتلال الفرنسي، يمعن في اتهام الجزائريين بكل الأوصاف الرديئة، مستندا إلى مشاهد الحرب التي حضرها في حصار قسنطينة، وكأنه ينتظر من المسلمين الترحيب بالمحتلين وإظهار الفرح باستيلائهم على مدينتهم، ومن حرصه الشديد على مراكمة الأوصاف القبيحة للشعب الذي أسره، فقد بلغ به الأمر أن سمى احتفالات النصر بعد إحباط محاولة احتلال قسنطينة سنة: 1836م بأنها: أفراح شبيهة بأفراح الهمج! ولا يمكن تفسير طريقة إخراجهم لمشاهد التصدي للغزاة إلا باعتبارها تزويرا مفضوحا للحقائق<sup>89</sup>.

عن سوء فهم الثقافة المحلية، أو عن تفسيرات خاطئة لتقاليد وأعراف اجتماعية، فالأسير تيدنا يزعم أن الطلاق إذا وقع بين المسلمين يأخذ الرجل أولاده الذكور وتأخذ الأم البنات ثم يفصلان إلى الأبد، ويتعجب كمسيحي من قدرة النساء الجزائريات على التخلي عن أبنائهن من دون أن يشعرن بأي ألم في الغالب! خلافا للأمم المسيحية التي تتمنى الموت على أن تفرط في ولدها، وهذا زعم باطل يكفي ذكره عن رده، وهو شبيهه بادعاء آخر له أن المسلمين ينسون ميتهم بعد دفنه بخمس ساعات!<sup>90</sup>

لقد تجاوز هؤلاء الأسرى وهم يدونون مذكراتهم مستوى الكتابة الانطباعية التي تعبر عن آلام الأسر وتستحضر السجان الذي حرمهم حريتهم؛ ذلك أنها أضافت أحكاما تعبر عن الضمير المسيحي وتصورات العقل الجمعي الغربي حول "القراصنة" المسلمين في البحر المتوسط، وبالتالي فهي لم تكن كتابة تاريخية بقدر ما كانت تصفية حسابات في سياق صراع حضاري وعسكري يلقي بثقله على كل منتوج أدبي ويصعب الفكاه منه، ومع ذلك كانت هناك استثناءات تسمح بفهم الظرفية التي تحكمت في أوضاع الأسرى ورسمت لهم نمط حياتهم، ودائما ما تكشف الاستثناءات عن الصور المقموعة التي يراد نفيها وتجاوزها، وخاصة إذا أثبت التاريخ وقائع تدعم الرؤية المعاكسة، ومن ذلك أن توصيف المسلمين بكل هذا القدر من القسوة والوحشية ما كان ليدفع بعض الأسرى السابقين بالجزائر للعودة والاستقرار بها بعد تحريرهم ودفع فديتهم، وهو ما تدل عليه شهادة للفتصل الفرنسي بالجزائر جون بون سانت أندري/Jean bon Saint-André في الفترة (1795-1798)، حيث أشار إلى أن أسيرا إسبانيا كان عبدا سابقا للداي، عاد إلى الجزائر بعد تحريره واتخذ منزلا بها، وتلقى مكافئة وامتيازات من سيده السابق<sup>91</sup>.

## 3-4- الصورة الرابعة: جهلة ومتخلفون

إن انبلاج عصر النهضة في إيطاليا ثم إشعاعه على مختلف دول أوروبا، قد أدى إلى اختلال التوازن الحضاري بين العالمين المسلم والمسيحي، حيث دشّن هذا الأخير مسيرته نحو التقدم العلمي والتقني التي سمحت له بتحقيق طفرات كبيرة في مختلف المجالات، وانعكست تدريجياً على حياة الأفراد ونظمهم السياسية وترتيباتهم الإدارية وقدراتهم العسكرية، وإذا كانت منجزات الطبقة البورجوازية لم تشمل كل المجتمعات الأوروبية في الفترة الحديثة، ولم تقطع تماماً مع نمط مجتمعات عهود الإقطاع والسيطرة الكنسية والملكية المطلقة؛ فإن انتقال الأفراد من إحدى الدول الأوروبية المنخرطة في هذه التحولات إلى الجزائر التي لا زالت تعيش العصر الوسيط الطويل بملامحه العامة على مستوى المعارف الإنسانية<sup>92</sup>، كان يؤدي إلى نوع من الصدمة الثقافية التي تشعر الفرد أنه يعود إلى الماضي المتخلف مقارنة بالتطورات الحاصلة في بلده، وهو ما يعزز الصورة النمطية التي يحملها عن الدول البربرية في مخياله.

لاحظ الأسرى المسيحيون في إيالة الجزائر شيوع الكثير من التصورات الخرافية حول الأمراض، ونقلوا تخلف المعارف الطبية عند المسلمين، وهو الأمر الذي سمح للأسير الألماني سيمون بفايفر ببعض التعليم البسيط أن يصبح الطبيب الخاص للجزائري، وقد اعترف له هذا الأخير أن الجزائر "لا يوجد فيها طبيب ماهر بعد أن انتهى فن الطب العربي"<sup>93</sup>، كما أفصح أسيران آخران في قسنطينة في خداع الناس بادعاء مهنة الطب لمجرد نجاحهما في وصف أدوية بسيطة لأمراض خفيفة، فصارا مقصد الجميع لعلاج مختلف العاهات والأمراض المستعصية مع دفع مبالغ مالية هامة<sup>94</sup>، وقد كانت التصورات الماورائية تطغى على عقول الجزائريين يومها في تفسير الأمراض، فالحمى مثلاً ليست سوى تلبساً للشيطان بالإنسان<sup>95</sup>، والطاعون ليس سوى السم الذي يغرسه الجراد في الخضر والفواكه<sup>96</sup>، والتداوي من خلال زيارة أضرحة الأولياء وتقديم الهدايا للقائمين عليها والاعتقاد في قدرة الأولياء والمرابطين على شفاء المرضى كانت ظاهرة عامة في المجتمع<sup>97</sup>.

في مستوى التعليم تم تقديم صورة عن بساطة ما يدرسه الجزائريون في مذكرات الأسرى، فهو لا يتعدى القراءة والكتابة لأجل القرآن وتبادل الرسائل، والقلة التي تتجاوز هذا المستوى نحو معارف أخرى مثل علم الفلك تكتفي فيه بالحد الأدنى<sup>98</sup>، ومع أن هذه الصورة انطباعية متسرعة، بحكم عدم وصول هؤلاء إلى المساجد والكتاتيب والزوايا التي تعبر عن طبيعة الثقافة المنتشرة يومها، وهي في عمومها ثقافة دينية تعد امتداداً لأشكال التعليم قبل الفترة الحديثة، لكن رغم ذلك يمكن فهم هذه الانطباعات باعتبارها مقارنة مع الوضع السائد يومها في العالم الغربي حيث تطور التعليم وانتظمت الجامعات وظهر العلماء والمخترعون في مختلف التخصصات، وازدهرت الصحافة لاتساع سوق المقرئية، وبالتالي رأى أصحاب المذكرات أنهم ينظرون إلى أنماط ثقافية تقع خارج الزمان الذي يعرفونه.

لم يفوت أصحاب المذكرات وهم يقدمون دلائل الأمية والجهل لدى المسلمين بالجزائر، أن يشيروا إلى انتشار الأساطير والخرافات بينهم، فنقلوا لنا قصصاً عن اعتقادهم بوجود كنوز مدفونة في مواضع بعينها لا يمكن سوى لمسيحي أن يستخرجها، وعن مغارات مليئة بالكنوز، وعن تقديس بعض أنواع الطيور<sup>99</sup>، وعن العمل على اكتساب الحب والشجاعة والنجاة من القتل من خلال "التمائم/الحروز" التي يكتبها المشعوذون<sup>100</sup>، وإذا كانت دراسة المنظومة المعرفية السائدة في بلاد المغرب الإسلامي في تلك المرحلة تسمح بالقول أن هذه التصورات الخرافية قد انتشرت بين قطاع كبير من الناس، فإن ذلك لا ينبغي

#### ==== صورة المسلم في مذكرات أسرى إيالة الجزائر: مقاربة صورولوجية (1183-1253هـ/1769-1837م)

أن بنسينا التنبيه إلى الجهود التي بذلك في سبيل التصدي لها، ومن خلال كتاب : منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والهداية لشيخ الإسلام عبد الكريم الفكون (ت: 1662م) يمكن فهم حالة التدافع بين دعاة الإصلاح وبين مروجي هذه العقلية الخرافية من أدعياء الولاية، ولذلك فقد كانت التعميمات الواردة في هذه الصور من الأسرى المسيحيين خاطئة، مع أنها ليست زائفة كزعم بعضهم أن الجزائريين يعتقدون أن المرأة كائن بلا روح، وأن وجودهن يهدف لوظيفة واحدة هي التكاثر! أو الادعاء أن الفلاحين منهم لا يعرفون طرق تقليم وتطعيم الأشجار!<sup>101</sup>

من جهة أخرى؛ رصدت هذه الكتابات مشكلة الصراع بين القديم والحديث داخل العقل الإسلامي يومها، فقد أشار بفايفر إلى رفض أوجاق الجزائر تنفيذ طلب السلطان العثماني باعتماد النظام الأوروبي في تنظيم الجيش، واعتبروه من الكفر الذي يسقط شرعيته<sup>102</sup>، والذي يظهر أن استحكام العداء بين إيالة الجزائر والعديد من الدول الأوروبية، واستمرار حالة الحرب ووقوع قتلى وأسرى في الجانبين، جعل من العسير على الجزائريين تقبل الانفتاح على منجزات الحضارة الغربية، وأخر النظر إليها كمنجز إنساني ضروري لمحاولة تجاوز حالة التخلف العلمي، وبالتالي غلبت صورة "العدو الكافر" على صورة الآخر المتقدم الذي سيتيح له تقدمه تحقيق انتصار نهائي إذا لم تتم المبادرة إلى وضع الأسباب الكفيلة بالحقاق به.

#### 4. صور إيجابية تخترق قتامة الصور النمطية:

رغم ما تميزت به هذه الكتابات المتحيزة من إعادة إنتاج الصورة النمطية للغرب المسيحي عن العالم الإسلامي، فإنها لم تخل من ملاحظات تكشف عن صفات تخالف الأحكام السابقة، وتتمثل في شهادات إيجابية تعطي صورة تخالف إيقاع المذكرات العام، ولا شك في أن قراءتها ضمن ذلك السياق الذي يحكم على المسلمين بالبربرية والوحشية والجهل يمنع من تلمس صورة مغايرة، لذلك أفردناها بالذكر لأنها صدرت من خلال تجربة ومشاهدة ذاتية بعيدة عن التصورات السابقة، وقد أكدتها نصوص أخرى لا تقع ضمن العينة التي ندرسها.

عند الأسير النرويجي نيلز نيلسون موس نقرأ اعترافا بالحرية الدينية التي كان يعيشها المسيحيون، وأدائهم لشعائهم في الأوقات التي يريدون، حيث كان يسمح لهم كل مساء بعد نهاية الأعمال الذهاب إلى الكنيسة أو الدير أو المستشفى الذي كان يتضمن مكانا للعبادة لأداء صلواتهم، وحققهم في المكوث في هذه الأماكن إلى الوقت الذي يجب عليهم العودة إلى مرافقهم بالسجن، وهو يؤكد أن السجن ذاته يحتوي كنيسة صغيرة يقيمون فيها القداس، أما كنيسة المستشفى فوصفها بأنها جميلة، يديرها أسقف، ويقدم فيها الطعام كل يوم أحد، بالإضافة إلى الأعياد والمناسبات<sup>103</sup>، وهذه الصورة لا يمكن أبدا تخيلها في أوروبا يومها التي كانت تكره الأسرى المسلمين على تغيير دينهم وتقوم بتعميدهم، تحت الإكراه وتغيير أسمائهم أيضا.

بالإضافة إلى ما أوردناه سابقا من اعتراف الأسير الفرنسي تيدنا أن معاملة الأسرى في الجزائر أفضل بكثير من معاملتهم في أوروبا، فإنه في مواضع كثيرة من مذكراته سجل انطباعات مغايرة لما أوردناه سابقا فيما يتعلق بوضعية الأسير بالجزائر، فوصوله إلى منصب خزانة عند باي بايلك الغرب الجزائري محمد الكبير (1779-1797م)، جعلته يتذكر الجزائر بكثير من الحب، فيذكر أنه عندما ألقى عليه القبض لم يعامل معاملة سيئة كما كان يتوقع، بل إن "القراصنة" حسبه كانوا إنسانيين بعض الشيء طيلة الأيام الأربعة التي قضوها على سفينتهم في طريقهم نحو مدينة الجزائر، وعند دفع فديته وتحريره اعترف أنه يفارق الجزائر وهو حزين لأنه بلد كان سعيدا فيه<sup>104</sup>.

في مذكرات الأسير الأمريكي كاتكارث نجده يقرّ بالمساعدة وإظهار علامات الشفقة والعطف من بعض أسريهم، كما أن "القراصنة" أحسنوا معاملة امرأة أسيرة وبمجرد وصولهم إلى مدينة الجزائر أرسلت إلى المستشفى في انتظار وصول فديتها، وهي ملاحظة تبرز لنا المعاملة التفضيلية التي تنالها الأسيرات<sup>105</sup>، ويؤكد ذلك قنصل أمريكا بالجزائر وليام شالر عندما يؤكد أن "الأسيرات كن دائما يعاملن بالاحترام الذي يفرضه جنسهن"<sup>106</sup>، ومع أن كاتكارث أسهب في ذكر معاناة الأسرى في السجون وفي أعمال الميناء فإنه نبه إلى الراحة التي ينعم بها من احتفظ بهم في قصر الداى أو كبار المسؤولين<sup>107</sup>. عند جون فوس الذي تحتوي مذكراته على أبشع التوصيفات في حق الجزائريين، لا نعدم صورا إيجابية عن المسلمين بالجزائر، فهو ينقل لنا أن الأسرى بإمكانهم نيل حقهم إذا اشتكوا بمن ظلمهم إلى الداى من خلال الإمساك بالسلسلة الموجودة أمام باب القصر، بصرف النظر عن هوية المعتدي، وهو يؤكد أن إنجاز العدالة سريع ونافذ في هذه الحالة<sup>108</sup>، واعترف أن التزام السكان بالإسلام ليس معناه منع الديانات الأخرى، بل كان لغير المسلمين الحق في ممارسة شعائر دينهم بحرية<sup>109</sup>، كما أنه معجب بالطراز العمراني الإسلامي حيث يصف مساجد الجزائر أنها جميلة، وتظهر من بعيد بشكل رائع، كما يصف الحمامات التي ينه إلى كثرتها بالمدينة أنها مرصوفة بشكل رائع بالرخام، وأن الرجال يقضون وقتا طويلا فيها، كما تفتح أبوابها للنساء مساء<sup>110</sup>، وهذه إشارة إلى العناية بالنظافة التي تناقض الكثير من الإشارات الأخرى في المذكرات ذاتها.

أما الأسير النمساوي ميتزون فيشير إلى نقل الأسرى المرضى إلى المستشفى في زمن الطاعون<sup>111</sup>، وهو ما أشرنا له سابقا عن جون فوس أيضا، ما يجعل الصورة الواردة سابقا عن لا مبالاة المسلمين بموت المسيحيين، وأن الأمر عندهم لا يختلف عن موت حيوان<sup>112</sup>، مجرد انطباع قد يكون عاكسا لموقف الأسير من الإنسان المسلم فيرى أنه يشاركه في موقفه نحوه، كما يجعل من زعم ميتزون أن الجزائريين قاموا بانتزاع طفلين من والديهما الأسيرين وقتلوهما وسحقوهما للأرض مجرد قصة مخترعة من وحي خياله<sup>113</sup>، فهؤلاء الذين نقلوا الأسرى للمستشفى في زمن الطاعون الذي أهلك الكثير من الناس لا يمكنهم أن يمارسوا هذه الأفعال المزعومة.

#### الخاتمة:

إن المقاربة الصورولوجية لمذكرات أسرى إيالة الجزائر قد سمحت بفهم مختلف المرتكزات التي تقف خلف الصور النمطية التي شكلها الأسرى عن أسريهم، وتبين أنها لم تكن مجرد نتاج للتجربة الذاتية ومعاناة الأسر والأعمال المرهقة والغربة عن الوطن، بل إنها قبل ذلك انعكاس لثقافة المجتمع الذي قدم منه الأسير وما يحمله من المشاعر تجاه الآخر المسلم الذي انطبع في العقل الجمعي أنه القرصان الشرير المتوحش، والبدوي الجلف المتخلف، ولهذا جاءت هذه المذكرات أقرب إلى الروايات المشبعة بالأحكام المسبقة والساعية إلى ترسيخها في الوقت نفسه، ويتبين ذلك في كثير من المواطن بالخروج عن سياق السرد من أجل تثبيت هذه الصور النمطية وتأكيدهما، واستخدام الألفاظ ذات الدلالات الأكثر سوداوية وفتامة لأجل ذلك، وليس معنى هذا الدفاع عن صورة معاكسة تماما قد تزعم وجود أسر دون معاناة، ولكن التنبيه إلى التحيزات الواردة في هذه النصوص من أجل فهم أعمق لها، وتجاوز التعميمات نحو تصور أقرب إلى الحقيقة التاريخية، سيسمح لنا بالقول باطمئنان أن الأسير الأوروبي في الجزائر كان أفضل بكثير من الأسير المسلم في الدول المسيحية.

## ==== صورة المسلم في مذكرات أسرى إيالة الجزائر: مقاربة صورولوجية (1183-1253هـ/1769-1837م)

إن استحضار السياقات التاريخية والصراعات المحتملة بين العالمين الإسلامي والمسيحي لقرون طويلة، والتنافس على حوض البحر المتوسط بين الدولة العثمانية والقوى الأوروبية، ومعاناة الأسرى وقصصهم الحزينة التي تنتشر في الأوساط الشعبية وهي مليئة بمشاهد الحزن والألم، وجهد الطوائف الدينية المسيحية والنخب السياسية والثقافية في شيطنة من يصفونهم بالقراصنة المسلمين في بلاد الباربراسك، كل هذا ألقى بظلاله على النصوص التي لا يمكن لها أن تكون وثيقة تاريخية صالحة للاستغلال بشكل مباشر في هذا الموضوع، بقدر ما هي نص أدبي في حاجة إلى مسائلة فاحصة.

### قائمة المصادر والمراجع:

#### I - المصادر:

##### أ- المصادر العربية والمعربة:

- 1- بفايفر سيمون، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تر: أبو العيد دودو، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974.
- 2- بوطبة لخضر (مترجم)، أسير نرويجي في مدينة الجزائر: نيلز نيلسون موس (1769-1772)، الجزائر، البدر الساطع للطباعة والنشر، 2019.
- 3- ثربانتس، دون كيخوته، ط3، تر: عبد الرحمن بدوي، دمشق، دار المدى للطباعة والنشر، 2009.
- 4- ستيفن جيم ولسون، الأسرى الأمريكيان بالجزائر 1785-1797م، تر: علي تابلت، الجزائر، منشورات ثالة، 2007.
- 5- سعيدوني ناصر الدين (مترجم)، رحالة العالم الألماني ج. أو. هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس 1145هـ/1732م، تونس، دار الغرب الإسلامي، 2008.
- 6- شالر وليام، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر: 1816-1824، تر: إسماعيل العربي، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1972.
- 7- شلوصر فندلين، قسنطينة أيام أحمد باي 1832-1837، تر: أبو العيد دودو، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1980.
- 8- عميرايوي احميدة (مقدمة ومترجما)، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني (مذكرات تيدنا أنموذجا)، الجزائر، دار الهدى، 2003.
- 9- كاتكارت، مذكرات أسير الداوي كاتكارت قنصل أمريكا في المغرب، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1982.
- 10- ميتزون جيريت، يوميات أسر في الجزائر 1814-1816م، تر: محمد زروال، الجزائر، دار هومة، 2011.

##### ب- المصادر الأجنبية:

- 11- de Tassy Laugier, Histoire du royaume d'Alger, un diplomate français à Alger en 1724, Préface: Noël La veau et André Nouschi, Paris, Loysel, 1992.
- 12- Foss John, A journal, of the captivity and sufferings of John Foss; several years a prisoner at Algiers: together with some account of the treatment of Christian slaves when sick and observations of the manners and customs of the Algerines, 2 éd, Newburyport , Published According to Act of Congres, 1978.

#### II - المراجع:

##### أ- المراجع باللغة العربية:

- 13- أبو ملهم نجيب وعبود موسى، سرفانطيس أمير الأدب الإسباني، تطوان، مطبعة المخزن، 1947.
- 14- أفاية محمد نور الدين، صور الغيرية تجليات الآخر في الفكر العربي الإسلامي، المركز الثقافي للكتاب، بيروت، 2018.
- 15- أوزغلة محمد عبد الكريم، شهادات الأسر ومشاهد الكتابة ميغيل دي سيرفانتس في الجزائر (1575-1580)، الجزائر، دار القصة للنشر، 2012.
- 16- حمود ماجدة، مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن، دمشق، مطبعة اتحاد الكتاب العرب، 2000.
- 17- حمود ماجدة، صورة الآخر في التراث العربي، بيروت، الدار العربية للعلوم، 2010.

18- الساوري بوشعيب، صورة الآخر في رحلات عربية من القرن العاشر الميلادي إلى القرن الواحد والعشرين، دمشق، النايا للدراسات والنشر، 2014.

19- منصور طارق، المسلمون في الفكر المسيحي العصر الوسيط، القاهرة، مصر العربية للنشر والتوزيع، 2008.

20- ناوري يوسف، صورة الآخر في رحلة ابن بطوطة، طنجة، مدرسة الملك فهد العليا للترجمة، 1993.

**ب- المراجع المعرّبة:**

21- باجو دانييل هنري، الأدب العام والمقارن، تر: غسان السيد، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 1997.

22- سوزن ريتشارد، صورة الاسلام في أوروبا في القرون الوسطى، تر: رضوان السيد، بيروت، دار المدار الإسلامي، 2006.

**ج- المراجع الأجنبية:**

23- Belhamissi Moulay, Les Captifs algériens et l'Europe chrétienne : 1518-1830, Alger, Entreprise Nationale du Livre, 1988.

24- Brahim Denise, Opinions et regards des Européens sur le Maghreb aux XVII<sup>e</sup> et XVIII<sup>e</sup> siècles, Alger, SNED, 1978.

25- Brahim Denise, Images du Maghreb dans la littérature, Paris, Pétra, 2015.

26 - Daniel Norman, Islam and the West: The Making of an Image, Edinburgh, the University press, 1960.

27- Mas Albert, Les Turcs dans la littérature espagnole au siècle d'Or, Flers, Imprimerie Follope, 1967.

28- Sénac Philippe, l'Occident médiéval face à l'Islam, Paris, Flammarion, 1983.

29 - Southern R.W., Western Views of Islam in the Middle Ages, Cambridge, Cambridge University Press, 1963.

30- Soykut Mustafa, Image of the Turk in Italy A History of the Other» in Early Modern Europe: 1453 - 1683, Berlin, Klaus Schwarz Verlag, 2001.

31- Tolan John, Saracens: Islam in the Medieval European Imagination, New York, Columbia University Press, 2003.

32- Turbet-Delof Guy, L'Afrique Barbaresque Dans la Litterature Française aux XVI<sup>e</sup> et XVII<sup>e</sup> Siecles, Genève, Librairie Droz, 1973.

**د- الرسائل الجامعية:**

**باللغة العربية:**

33- خشمون حفيظة، مهام مفتدي الأسرى والتزاماتهم الاجتماعية في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية، رسالة ماجستير، إشراف: كمال فيلالي، جامعة منتوري قسنطينة، 2006-2007.

34- سعيود إبراهيم، الأسرى المغاربة في إيطاليا خلال العهد العثماني، أطروحة دكتوراه، إشراف: عائشة غطاس، جامعة الجزائر 2، 2009-2010.

35- قرياش بلقاسم، الأسرى الأوروبيون في الجزائر خلال عهد الدايات 1671-1830، أطروحة دكتوراه، إشراف: ودان بوغفالة، جامعة مصطفى أسطمبولي معسكر، 2015-2016.

36- محممة عائشة، الأسرى الأوروبيون في مدينة الجزائر ودورهم في العلاقات بين الجزائر ودول الحوض الغربي للمتوسط خلال القرنين السادس والسابع عشر للميلاد، مذكرة ماجستير، إشراف: عمار بن خروف، جامعة غرداية، 2011-2012.

**باللغة الأجنبية:**

37- Addoun Yacine Daddi, L'Abolition de l'esclavage en Algerie (1816-1871), PH.D. Thesis, supervision: Pr. Paul Lovejoy ; York University, 2010.

## صورة المسلم في مذكرات أسرى إيالة الجزائر: مقارنة صورولوجية (1183-1253هـ/1769-1837م)

### هـ- المجالات وأعمال الملتقيات والكتب الجماعية:

#### باللغة العربية:

- 38- أمين محمد، "القرصنة وشروط افتداء الأسرى الاسبان بالجزائر خلال القرن الثامن عشر"، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، 21(2000).
- 39- الباطني خالد، "عبيد في الجزائر: أسرى الولايات المتحدة الأمريكية في الجزائر 1775-1797"، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، م80، 5(2020).
- 40- حمادي عبد الله، "جزائر القرن السادس عشر من خلال وثائق بعض الأسرى الاسبان"، مجلة الآداب، 1(1994).
- 41- حماش خليفة، "الأسرى الجزائريون في أوروبا في العهد العثماني من خلال المصادر المحلية"، أعمال الملتقى العلمي الأول ماي 2008: سوسولوجية الهجرة الجزائرية في تاريخ الماضي والحاضر، إشراف: كمال فيلاي، قسنطينة، منشورات مخبر الدراسات والأبحاث الاجتماعية التاريخية حول الهجرة والرحلة، 2009.
- 42- حماش خليفة، "قراءة في أسباب انهزام الجزائريين أمام الفرنسيين في معركة أوسطة والي في ذي الحجة 1245هـ/19 جوان 1830م"، المعالم، 16(2013).
- 43- خشمون حفيظة، "صورة الأسير المسيحي بالجزائر العثمانية من خلال الرحلات الأوروبية"، سلسلة أعمال ملتقيات مخبر الدراسات والأبحاث حول الهجرة والرحلة، جامعة قسنطينة 2، 2017.
- 44- سعيود إبراهيم، "القرصنة المتوسطية خلال الفترة الحديثة: القرصنة الإيطالية نموذجاً"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، 11(2011).
- 45- شاشية حسام الدين، "صورة المسلم في المخيال الغربي خلال الفترة الحديثة: تجذر القلق"، الكراسات التونسية، 218-219(2014).
- 46- قرياش بلقاسم، "الوضع الديني في الجزائر العثمانية بمذكرات جون فوس"، آفاق فكرية، مج4 (2018).
- 47- قرياش بلقاسم، "الكتابات الغربية ودورها في تشويه تاريخ الجزائر العثماني"، دورية كان التاريخية، 23 (2014).
- 48- قرياش بلقاسم، "المرأة الأوربية الأسيرة لدى المغاربة والأتراك في الأدبيات البريطانية 1600-1830"، مجلة العلوم الانسانية لجامعة أم البواقي، مج8/1(2021).
- 49- مبارك زكي، "الجهاد البحري في الغرب الإسلامي: المفهوم الإسلامي والمفهوم الغربي-المسيحي"، البحث العلمي مجلة البحوث الاجتماعية والانسانية، 45(1998).
- 50- المدني أحمد توفيق، "أزمة حادة بين الجزائر والدولة العثمانية حول قضية القرصنة"، مجلة التاريخ، 1981.

#### المترجمة:

- 51- مورا جان مارك مورا، "الصورولوجيا الأدبية: محاولة ضبط تاريخية ونقدية"، تر: عبد النبي ذاك، دراسات، 8(1998).

#### باللغة الأجنبية:

- 52- Filali kamel, "les voyageurs religieux dans le regard de Laugier De Tassy en mission a Alger (1725)", Revue Emigration et Voyages, 1(2005).
- 53- Berbrugger M., «De l'esclavage musulman en France », La Revue africaine, 1(1856).
- 54- Bono Salvatore, «Achat d'esclaves turcs pour les galères pontificales (XVIe - XVIIe siècles)», Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, 39(1985).

#### و- المواقع الإلكترونية:

- 55- Cortés Manuel Lomas, «L'esclave captif sur les galères d'Espagne (XVIe-XVIIIe siècles)», Cahiers de la Méditerranée [En ligne], 87 | 2013, mis en ligne le 15 juin 2014, consulté le 08 septembre 2020. URL : <http://journals.openedition.org/cdlm/7140>
- 56- Ezzahidi Malika, « Le rachat des captifs musulmans à Malte en 1782, d'après le récit de voyage d'Ibn Uthmân Al-Meknassî », Cahiers de la Méditerranée [En ligne], 87|2013, mis en ligne le 15 juin 2014, consulté le 08 septembre 2020.

URL: <http://journals.openedition.org/cdlm/7245>.

57- Gheziel Abla, « Captifs et captivité dans la régence d'Alger (xviie- début xixe siècle) », Cahiers de la Méditerranée [En ligne], 87 | 2013, mis en ligne le 15 juin 2014, consulté le 19 mai 2015. URL : <http://cdlm.revues.org/7165>.

58- Lugan Bernard, ALGERIE : A quand les excuses d'Alger pour la traite des esclaves Européens ? [En ligne], URL : <https://cutt.us/ukJdO>

## الهوامش:

<sup>1</sup>- من هذه الدراسات أشير إلى: عبد الله حمادي، "جزائر القرن السادس عشر من خلال وثائق بعض الأسرى الإسبان"، مجلة الآداب، 1(1994)، ص: 87-211. بلقاسم قرياش، "الوضع الديني في الجزائر العثمانية بمذكرات جون فوس"، أفاق فكرية، مج4 (2018)، ص: 86-97.

<sup>2</sup>- منها على سبيل المثال: عائشة محممة، الأسرى الأوروبيون في مدينة الجزائر ودورهم في العلاقات بين الجزائر ودول الحوض الغربي للمتوسط خلال القرنين السادس والسابع عشر للميلاد، مذكرة ماجستير، إشراف: عمار بن خروف، جامعة غرداية، 2011-2012؛ بلقاسم قرياش، الأسرى الأوروبيون في الجزائر خلال عهد الدايات 1671-1830، أطروحة دكتوراه، إشراف: ودان بوغفالة، جامعة مصطفى أسطمبولي معسكر، 2015-2016؛ محمد أمين، "القرصنة وشروط اقتداء الأسرى الإسبان بالجزائر خلال القرن الثامن عشر"، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، 21(2000)، ص: 23-36؛ حفيظة خشمون، "صورة الأسير المسيحي بالجزائر العثمانية من خلال الرحلات الأوروبية"، سلسلة أعمال ملتقيات مخبر الدراسات والأبحاث حول الهجرة والرحلة، جامعة قسنطينة 2، 2017، ص: 121-141. خالد الباطني، "عبيد في الجزائر: أسرى الولايات المتحدة الأمريكية في الجزائر 1775-1797"، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، م80، 5(2020)، ص: 213-245. أما الدراسات الأجنبية فهي كثيرة جدا.

<sup>3</sup>- حسام الدين شاشية، "صورة المسلم في المخيال الغربي خلال الفترة الحديثة: تجذر القلق"، الكراسات التونسية، 218-219(2014)، ص: 45-80.

<sup>4</sup>- يتم الاستناد في هذا الرأي إلى رحلة الأديبة الفرنسية مدام دوستال/Madame de Staël، التي تمثل انطلاقة لدراسة الآخر في الأدب المقارن، هذه الأخيرة التي قامت مع بداية القرن التاسع عشر بزيارة ألمانيا التي كانت علاقتها مع فرنسا مضطربة جدا (صراعات وحروب)، إذ رحلت إليها وهي تحمل الصورة المتداولة، والشائعة، والراسخة لدى شعبها الفرنسي حول ذلك الشعب الألماني الجاهل، الخامل، الهمجي... لتصطدم بواقع مخالف لما ترسخ في أذهان أفراد شعبها من صور مغشوشة لا تمت للحقيقة بصلة، حيث وجدت بالمعايشة والاحتكاك والتواصل المباشر مع هذا الشعب، أنه شعب راق في تصرفاته، غني ومبدع في منتجاته الأدبية، شعب طيب في أرض طيبة بخيراتها، وساحرة بطبيعتها، الأمر الذي دفعها إلى وضع كتابها المشهور: "ألمانيا" في محاولة منها لتصحيح صورة الشعب الألماني في المخيال الجمعي الفرنسي. انظر: ماجدة حمود، مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن، دمشق، مطبعة اتحاد الكتاب العرب، 2000، ص: 109.

<sup>5</sup>- دانييل هنري باجو، الأدب العام والمقارن، تر: غسان السيد، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 1997، ص: 87.

<sup>6</sup>- انظر: يوسف ناوري، صورة الآخر في رحلة ابن بطوطة، طنجة، مدرسة الملك فهد العليا للترجمة، 1993، ص: 63، محمد نور الدين أفاية، صور الغيرية تجليات الآخر في الفكر العربي الإسلامي، المركز الثقافي للكتاب، بيروت، 2018، ص: 31.

<sup>7</sup>- جان مارك مورا، "الصورولوجيا الأدبية: محاولة ضبط تاريخية ونقدية"، تر: عبد النبي ذاكر، دراسات، 8(1998)، ص: 138.

<sup>8</sup>- محمد نور الدين أفاية، صور الغيرية، ص: 31.

<sup>9</sup>- بوشعيب السّاورى، صورة الآخر في رحلات عربية من القرن العاشر الميلادي إلى القرن الواحد والعشرين، دمشق، النايا للدراسات والنشر، 2014، ص: 117-118.

<sup>10</sup>- ماجدة حمود، صورة الآخر في التراث العربي، بيروت، الدار العربية للعلوم، 2010، ص: 26.

<sup>11</sup>- يرى جان مارك مورا أن الصعوبة الكبرى التي تعتور الدراسة الصورولوجية تكمن في "الاهتداء إلى الإيقاع والمبادئ والقوانين الخاصة بهذا التصور عن الآخر، ذاك التصور أو العلم الذي يرتبط إلى حدّ ما بالتاريخ، لكن دون أن يكون بديلا له أو في أسوأ الأحوال ظلّ له". انظر: "الصورولوجيا الأدبية"، ص: 130-131.

<sup>12</sup>- بوشعيب الساوري، صورة الآخر في رحلات عربية، ص: 118. ولا بد من الإشارة إلى أن الصور النمطية لا تكون دائما سلبية، بل قد تكون إيجابية، ومنها حالة الافتتان بتقدم أمة من الأمم، فقد يشكل عند الأمة الأضعف صورة نمطية عنها، تضيء على تصرفات أفرادها هالة من التفرد الإيجابي، فيصاب أصحاب هذه الصورة بعقدة النقص نحو ثقافتهم بسبب حالة الهوس والانبهار بالآخر، وهذا ما يسمى بالتنشويه الإيجابي، ولعل من أمثله حالة انبهار المسلمين اليوم بالحضارة الغربية للحدّ الذي ينسون فيه جرائم الاستعمار القديم والمعاصر. انظر في الموضوع: ماجدة حمود: صورة الآخر في التراث العربي، ص: 28.

<sup>13</sup>- محمد نور الدين أفاية، صور الغيرية، ص: 32-33.

<sup>14</sup>- جان مارك مورا، "الصورولوجيا الأدبية"، ص: 130-131.

<sup>15</sup>- انظر: ريتشارد سوزنر، صورة الإسلام في أوروبا في القرون الوسطى، تر: رضوان السيد، بيروت، دار المدار الإسلامي، 2006، ص: 12-13.

<sup>16</sup> - Laugier de Tassy , Histoire du royaume d'Alger, un diplomate français à Alger en 1724,

Préface: Noël La veau et André Nouschi, Paris, Loysel, 1992, p : 10.

وانظر حول المؤلف وكتابه:

kamel Filali, "les voyageurs religieux dans le regard de Laugier De Tassy en mission a Alger (1725)", Revue Emigration et Voyages, 1(2005), p : 21-35.

وهنا يجدر التنبيه إلى ملاحظة هامة أشار لها يسين دادي عدون، وهي أن كتابات مفتدي الأسرى كانت أكثر عنفا من كتب الأسرى عن أسريهم، والتي تضمنت بعض المواقف الانسانية والشهادات المنصفة. انظر:

Yacine Daddi Addoun, L'Abolition de l'esclavage en Algerie (1816-1871), PH.D. Thesis, supervision: Pr. Paul Lovejoy ; York University, 2010, p: 50.

<sup>17</sup>- سيمون بفايفر، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تر: أبو العيد دودو، الجزائر، الشكرة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974، ص: 13.

<sup>18</sup>- من أهم هذه الدراسات يمكن الإشارة إلى:

Norman Daniel, Islam and the West: The Making of an Image, Edinburgh, the University press, 1960 ; R.W.Southern, Western Views of Islam in the Middle Ages, Cambridge, Cambridge University Press, 1963. Philippe Sénac, l'Occident médiéval face à l'Islam, Paris, Flammarion, 1983 ; John Tolan, Saracens: Islam in the Medieval European Imagination, New York, Columbia University Press, 2003.

طارق منصور، المسلمون في الفكر المسيحي العصر الوسيط، القاهرة، مصر العربية للنشر والتوزيع، 2008.

<sup>19</sup>- من بينها:

Albert Mas, Les Turcs dans la littérature espagnole au siècle d'Or, Flers, Imprimerie Follope, 1967, Guy Turbet-Delof, L'Afrique Barbaresque Dans la Litterature Française aux XVIe et XVIIe Siecles, Genève, Librairie Droz, 1973 ; Denise Brahimi, Opinions et regards des Européens sur le Maghreb aux XVII<sup>e</sup> et XVIII<sup>e</sup> siècles, Alger, SNED, 1978 ; Denise Brahimi, Images du Maghreb dans la littérature, Paris, Pétra, 2015. Mustafa Soykut, Image of the Turk in Italy A History of the Other» in Early Modern Europe: 1453 - 1683, Berlin, Klaus Schwarz Verlag, 2001.

بلفاسم قرباش، "الكتابات الغربية ودورها في تشويه تاريخ الجزائر العثماني"، دورية كان التاريخية، 23(2014)، ص: 118-123.

<sup>20</sup>- حسام الدين شاشية، "صورة المسلم في المخيال الغربي"، ص: 49-50.

<sup>21</sup>- kamel Filali, "les voyageurs religieux dans le regard de Laugier De Tassy ", p : 30.

<sup>22</sup>- حسام الدين شاشية، "صورة المسلم في المخيال الغربي"، ص: 47.

- 23- لخضر بوطبة (مترجم)، أسير نرويجي في مدينة الجزائر: نيلز نيلسون موس (1769-1772)، الجزائر، البدر الساطع للطباعة والنشر، 2019.
- 24- احميدة عميرايوي (مترجم)، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني (مذكرات تيدنا أنموذجاً)، الجزائر، دار الهدى، 2003.
- 25- كاتكارت، مذكرات أسير الداى كاتكارت قنصل أمريكا في المغرب، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1982.
- 26- جيم ولسون ستيفن، الأسرى الأمريكان بالجزائر 1785-1797م، تر: علي تابلت، الجزائر، منشورات ثالة، 2007.
- 27 - John Foss, A journal, of the captivity and sufferings of John Foss; several years a prisoner at Algiers: together with some account of the treatment of Christian slaves when sick:-- and observations of the manners and customs of the Algerines, 2 éd, Newburyport , Published According to Act of Congres, 1978.
- 28- ج ميتزون، يوميات أسر في الجزائر 1814-1816م، تر: محمد زروال، الجزائر، دار هومة، 2011.
- 29- سيمون بفايفر، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تر: أبو العيد دودو، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974.
- 30- فندلين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي 1832-1837، تر: أبو العيد دودو، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1980.
- 31 - John Foss, A journal, of the captivity and sufferings of John Foss; p : (preface unnumbered).
- 32- من المهم الإشارة هنا إلى القراءة النقدية المهمة للباحث ياسين دادى عدون في مذكرات هؤلاء الأسرى، حيث نبه إلى ضرورة فحصها جيداً، ليس فقط من أجل استخراج الحوادث التاريخية التي تتضمنها، بل لتحديد التمثيلات التي أعادت إنتاجها، والتي ترسخت قبل ذلك في المجتمعات الأوروبية، ووجود ميل واضح في أغلب هذه المذكرات للتأكيد على الرذائل التي تميز هذه المجتمعات البربرية، وهي نفس الرؤية التي تقوم عليها هذه الورقة. راجع:
- Yacine Daddi Addoun, L'Abolition de l'esclavage en Algerie (1816-1871), p: 46-51.
- 33- لعل من أشهر هذه النصوص: الجزء المسمى تاريخ الأسير التي ضمنها الأديب الإسباني الكبير ثربانتس/ Cervantes في روايته، وكان أمضى سنوات 1575-1580 أسيراً في مدينة الجزائر بعد أن وقع في يد بحارتها، انظر: ثربانتس، دون كيخوته، ط3، تر: عبد الرحمن بدوي، دمشق، دار المدى للطباعة والنشر، 2009، ج1، ص: 415-446. وتتضمن العريضة التي كتبها في الجزائر سنة: 1580 معلومات تاريخية هامة عن أوضاع الأسرى ومشاهداتهم وتصوراتهم حول المجتمع الجزائري في القرن 10هـ/ 16م، وقد نشرت في: محمد عبد الكريم أوزغلة، شهادات الأسر ومشاهد الكتابة ميغيل دي سيرفانتس في الجزائر (1575-1580)، الجزائر، دار القصبه للنشر، 2012، ص: 61-102؛ كما كتب سربانتس مسرحيات تعمل على تقديم صورة للجُمهور الإسباني حول تجربة الأسر في الجزائر وهي: معاملات الجزائر، تجربة الجزائر، ويمكن قراءة ملاحظات حولها في: نجيب أبو ملهم وموسى عبود، سرفانطيس أمير الأدب الإسباني، تطوان، مطبعة المخزن، 1947، ص: 207-210. وانظر نصوصاً أخرى في: بلقاسم قرياش، "المرأة الأوروبية الأسيرة لدى المغاربة والأتراك في الأدبيات البريطانية 1600-1830"، مجلة العلوم الانسانية لجامعة أم البواقي، مج8/1(2021)، ص: 247-259.
- 34 - Moulay Belhamissi, Les Captifs algériens et l'Europe chrétienne: 1518-1830, Alger, Entreprise Nationale du Livre, 1988, p: 48-49.
- 35- فندلين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي، ص: 83.
- 36- انظر أمثلة لذلك عند: ج ميتزون، يوميات أسر في الجزائر، ص: 14؛ فندلين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي، ص: 52؛ كاتكارت، مذكرات أسير الداى كاتكارت، ص: 29، 54-55، 62، 169.
- 37- سيمون بفايفر، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، ص: 65.
- 38- كاتكارت، مذكرات أسير الداى كاتكارت، ص: 220.
- 39- فندلين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي، ص: 83.
- 40- احميدة عميرايوي (مترجم)، مذكرات تيدنا، ص: 76؛ جيم ولسون ستيفن، الأسرى الأمريكان بالجزائر، ص: 180.
- 41- سيمون بفايفر، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، ص: 65؛ فندلين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي، ص: 86.
- 42- جيم ولسون ستيفن، الأسرى الأمريكان بالجزائر، ص: 248؛ فندلين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي، ص: 83؛ احميدة عميرايوي (مترجم)، مذكرات تيدنا، ص: 119-120.
- John Foss, A journal, of the captivity and sufferings of John Foss, p: 56-57.
- 43- فندلين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي، ص: 23.

44 - John Foss, A journal, of the captivity and sufferings of John Foss, p: 65.

45- انظر أمثلة لذلك عند: سيمون بفايفر، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، ص: 22-23؛ جيم ولسون ستيفن، الأسرى الأمريكيان بالجزائر، ص: 72، 233.

John Foss, A journal, of the captivity and sufferings of John Foss, p: 17, 33, 66.

46- احميدة عميراوي (مترجم)، مذكرات تيدنا، ص: 72 (الإحالة رقم: 1)؛ 75-76؛ جيم ولسون ستيفن، الأسرى الأمريكيان بالجزائر، ص: 217، 232، 233.

47- جيم ولسون ستيفن، الأسرى الأمريكيان بالجزائر، ص: 177-178.

48- فندلين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي، ص: 35.

49 - John Foss, A journal, of the captivity and sufferings of John Foss, p: 54.

50- انظر: سيمون بفايفر، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، ص: 14؛ ج ميترزون، يوميات أسر في الجزائر، ص: 25. لخضر بوطبة (مترجم)، أسير نرويجي في مدينة الجزائر، ص: 67.

51 - John Foss, A journal, of the captivity and sufferings of John Foss, p: 12.

52- سيمون بفايفر، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، ص: 67-70.

53- المصدر نفسه، ص: 58-59.

54- فندلين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي، ص: 57.

55- المصدر نفسه، ص: 56. وقد أشار المؤلف ص: 64 أن بعض محظيات أحمد باي قد اخترن الانتحار من خلال رمي أنفسهم من أعلى صخرة قسنطينة "حتى لا يقعن في أيدي المسيحيين".

56- انظر أمثلة في: سيمون بفايفر، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، ص: 18-19؛ فندلين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي، ص: 17؛ 20-21، 41، احميدة عميراوي (مترجم)، مذكرات تيدنا، ص: 108-110؛ كاتشارث، مذكرات أسير الداوي كاتشارث، ص: 138. ونقرأ رأيا مخالفا لما سبق يتضمن أن الجزائريين لا يبذلون جهدا في إقناع أسراهم بالإسلام، لأنهم سيخسرون فديتهم عند: جيم ولسون ستيفن، الأسرى الأمريكيان بالجزائر، ص: 262. ولاشك في أن ذلك مجرد ادعاء لا تسنده أي وقائع، بينما نقرأ عند الأسير النرويجي نيلز نيلسون موس أن بعض الأسرى الإسبان كان يرفض دخولهم الإسلام إلا إذا كانوا ماهرين في حرفة من الحرف، وأنه لو فتح الباب لدخول الإسلام لتخلوا جميعا عن مسيحيتهم، ويبدو أن المؤلف هنا ينطلق من بروستانتية في توجيه الاتهام للكاثوليك الإسبان دون غيرهم من الأسرى. انظر: لخضر بوطبة (مترجم)، أسير نرويجي في مدينة الجزائر، ص: 109-110.

57- انظر أمثلة في: سيمون بفايفر، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، ص: 52.

58- فندلين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي، ص: 20-21.

59- انظر في مسألة المصطلح ودلالاته: قرصنة/جهاد بحري: زكي مبارك، "الجهاد البحري في الغرب الإسلامي: المفهوم الإسلامي والمفهوم الغربي-المسيحي"، البحث العلمي مجلة البحوث الاجتماعية والانسانية، 45(1998)، ص: 15-61.

60- حول أهمية القضية الموريسكية في تعميق حالة القلق في صفوف المسيحيين تجاه العالم الإسلامي انظر: حسام الدين شاشية، "صورة المسلم في المخيال الغربي"، ص: 69-77.

61- إبراهيم سعيود، "القرصنة المتوسطية خلال الفترة الحديثة: القرصنة الإيطالية نموذجا"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، 11(2011)، ص: 149.

62- أنظر مثلا لذلك في مراسلة بين السلطان العثماني وحكام إيالة الجزائر في: أحمد توفيق المدني، "أزمة حادة بين الجزائر والدولة العثمانية حول قضية القرصنة"، مجلة التاريخ، 1981، ص: 93-98. ونجد في مذكرات الأسرى العديد من الإشارات إلى احترام البحرية الجزائرية للمواثيق مع الدول المعاهدة، وأنها كانت تستأنف النشاط الحربي البحري بمجرد نقضها، فنقرأ مثلا عند الأسير النرويجي نيلز نيلسون موس: "لما ألغيت معاهدة السلم مع الدنمارك أرسل الداوي سبع سفن من نوع الشبك أو الأشرعة للقيام بالقرصنة". انظر: لخضر بوطبة (مترجم)، أسير نرويجي في مدينة الجزائر، ص: 65.

63- حسام الدين شاشية، "صورة المسلم في المخيال الغربي"، ص: 52-53.

64- لخضر بوطبة (مترجم)، أسير نرويجي في مدينة الجزائر، ص: 65، 85.

John Foss, A journal, of the captivity and sufferings of John Foss, p: 54, 81.

65- ج ميترزون، يوميات أسر في الجزائر، ص: 19.

66- انظر: لخضر بوطبة (مترجم)، أسير نرويجي في مدينة الجزائر، ص: 63-64؛ ج ميتزون، يوميات أسر في الجزائر، ص: 12-18، 22؛ سيمون بفايفر، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، ص: 15؛ كاتكارث، مذكرات أسير الداي كاتكارث، ص: 18-19؛ جيم ولسون ستيفن، الأسرى الأمريكيين بالجزائر، ص: 70.

John Foss, A journal, of the captivity and sufferings of John Foss, p: 10.

67- ج ميتزون، يوميات أسر في الجزائر، ص: 16-17؛ جيم ولسون ستيفن، الأسرى الأمريكيين بالجزائر، ص: 255-256.

68- جيم ولسون ستيفن، الأسرى الأمريكيين بالجزائر، ص: 170.

69- كاتكارث، مذكرات أسير الداي كاتكارث، ص: 193-194.

70- حسام الدين شاشية، "صورة المسلم في المخيال الغربي"، ص: 68.

71- انظر مثالا لذلك مقال الكاتب الفرنسي: برنار لوغان / Bernard Lugan المعنون بـ:

ALGERIE : A quand les excuses d'Alger pour la traite des esclaves Européens ?

على الرابط: <https://cutt.us/ukJdO>

ونلاحظ في هذا الخطاب كيفية تلاعب اليمين المتطرف الفرنسي بالعقل الجمعي، من خلال استمرارية الدفاع عن أسطورة الرسالة الحضارية للاستعمار، وأن ما أنجزته فرنسا للمستوطنين لأجل تثبيت الاحتلال وتغيير هوية الجزائر-بحسب هذا التبريد التاريخي- إنما هو تضحية دفعت من أموال مانحي الضرائب الفرنسيين لتمدين الشعب الجزائري!!

72- انظر: جيم ولسون ستيفن، الأسرى الأمريكيين بالجزائر، ص: 155. ومن المفيد هنا الإشارة إلى رأي القنصل الأمريكي وليام شالر في البحرية الجزائرية مطلع القرن 19، وهو إنما يقدم تقريره انطلاقا من المقارنة مع الأساطيل الأوروبية وبجارتها، وتأتي شهادته لتؤكد شيوع هذه الصورة عن الجراءة القتالية للجزائريين يومها، فقد كتب ما يلي: "بحارتها يجهلون طرق المناورة في المعارك الحربية، وأما روح الجراءة الخارقة التي تعزى إليهم، فهي إنما خلقتها مؤامرات الدول الأوروبية وجشعها، ومع ذلك فإن مقدرة الجزائريين على تجهيز الأساطيل وتسليحها للقتال لا تفوقها مقدرة أي شعب آخر في العالم"، انظر: وليام شالر، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر: 1816-1824، تر: إسماعيل العربي، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1972، ص: 63. وقلن مع:

John Foss, A journal, of the captivity and sufferings of John Foss, p: 64.

73- انظر: لخضر بوطبة (مترجم)، أسير نرويجي في مدينة الجزائر، ص: 59، 68-69؛ جيم ولسون ستيفن، الأسرى الأمريكيين بالجزائر، ص: 89؛ سيمون بفايفر، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، ص: 15.

John Foss, A journal, of the captivity and sufferings of John Foss, p: 9, 11-12, 16-17, 19, 69, 83.

وحول إشكالية اعتبار أسرى النشاط الجزائري البحري أسرى أو عبيدا يراجع: بلقاسم قرباش، الأسرى الأوروبيون في الجزائر خلال عهد الدايات 1671-1830، ص: 47-51.

Abla Ghezzi, « Captifs et captivité dans la régence d'Alger (xviiie- début xixe siècle) », Cahiers de la Méditerranée [En ligne], 87 | 2013, mis en ligne le 15 juin 2014, consulté le 19 mai 2015. URL : <http://cdlm.revues.org/7165>, p p :2-3.

74- انظر:

John Foss, A journal, of the captivity and sufferings of John Foss, p: 10.

لخضر بوطبة، أسير نرويجي في مدينة الجزائر، ص: 63-64؛ ج ميتزون، يوميات أسر في الجزائر، ص: 17؛ جيم ولسون ستيفن، الأسرى الأمريكيين بالجزائر، ص: 317-318.

75- انظر: لخضر بوطبة (مترجم)، أسير نرويجي في مدينة الجزائر، ص: 70، 71، 73، 74؛ ج ميتزون، يوميات أسر في الجزائر، ص: 23، 30-33، 38، 46، 48، 53، 62-63؛ جيم ولسون ستيفن، الأسرى الأمريكيين بالجزائر، ص: 70-78؛ كاتكارث، مذكرات أسير الداي كاتكارث، ص: 26، 30-31، 34-36، 51، 57، 109؛ سيمون بفايفر، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، ص: 18؛ فنديلين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي، ص: 16، 36؛

76- جيم ولسون ستيفن، الأسرى الأمريكيين بالجزائر، ص: 72.

John Foss, A journal, of the captivity and sufferings of John Foss, p:17, 24-25, 32, 41-43.

77 - John Foss, A journal, of the captivity and sufferings of John Foss, p: 52.

78- احميدة عمير اوي (مترجم)، مذكرات تيدنا، ص: 56.

79- لخضر بوطبة (مترجم)، أسير نرويجي في مدينة الجزائر، ص: 59، 68-69.

## صورة المسلم في مذكرات أسرى إيالة الجزائر: مقارنة صورولوجية (1183-1253هـ/1769-1837م)

<sup>80</sup>- انظر هذه الشهادات في: ج ميتزون، يوميات أسر في الجزائر، ص: 38، 41، 43، 54. لخضر بوطبة (مترجم)، أسير نرويجي في مدينة الجزائر، ص: 95.

John Foss, A journal, of the captivity and sufferings of John Foss, p: 51.

وحول تحويل الأسرى في أوروبا إلى العمل كمجدفين في السفن انظر:

Moulay Belhamissi, Les Captifs algériens et l'Europe chrétienne : 1518-1830, p : 37-42 ; Manuel Lomas Cortés, «L'esclave captif sur les galères d'Espagne (XVIe-XVIIIe siècles)», Cahiers de la Méditerranée [En ligne], 87 | 2013, mis en ligne le 15 juin 2014, consulté le 08 septembre 2020. URL : <http://journals.openedition.org/cdlm/7140>

<sup>81</sup>- كاتكارت، مذكرات أسير الداى كاتكارت، ص: 23، 25. لخضر بوطبة (مترجم)، أسير نرويجي في مدينة الجزائر، ص: 70.  
<sup>82</sup>- حول وضعية الأسرى المغاربة عموما والجزائريين خصوصا في مختلف الدول الأوروبية أحيل إلى بعض الدراسات حسب الترتيب الزمني لصدورها:

M. Berbrugger, «De l'esclavage musulman en France », La Revue africaine, 1(1856), p : 38-41 ; Salvatore Bono , «Achat d'esclaves turcs pour les galères pontificales (XVIe - XVIIe siècles)», Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, 39(1985), p : 79-92 ; Moulay Belhamissi, Les Captifs algériens et l'Europe chrétienne: 1518-1830, Alger, Entreprise Nationale du Livre, 1988.

خليفة حماش، "الأسرى الجزائريون في أوروبا في العهد العثماني من خلال المصادر المحلية"، أعمال الملتقى العلمي الأول ماي 2008: سوسولوجية الهجرة الجزائرية في تاريخ الماضي والحاضر، إشراف: كمال فيلالي، قسنطينة، منشورات مخبر الدراسات والأبحاث الاجتماعية التاريخية حول الهجرة والرحلة، 2009، ص: 23-45. إبراهيم سعيود، الأسرى المغاربة في إيطاليا خلال العهد العثماني، أطروحة دكتوراه، إشراف: عائشة غطاس، جامعة الجزائر 2، 2009-2010.

Malika Ezzahidi, « Le rachat des captifs musulmans à Malte en 1782, d'après le récit de voyage d'Ibn Uthmân Al-Meknassâ », Cahiers de la Méditerranée [En ligne], 87|2013, mis en ligne le 15 juin 2014, consulté le 08 septembre 2020. URL: <http://journals.openedition.org/cdlm/7245>.

<sup>83</sup>- انظر شهادة: كاتكارت، مذكرات أسير الداى كاتكارت، ص: 18، 53-54. وانظر بعض الصور المقابلة التي دونها الأسرى المسلمون في أوروبا عند: إبراهيم سعيود، الأسرى المغاربة في إيطاليا خلال العهد العثماني، ص: 172-189.

<sup>84</sup>- حول شيوع ظاهرة محاولات فرار الأسرى المسيحيين بالجزائر انظر: لخضر بوطبة (مترجم)، أسير نرويجي في مدينة الجزائر، ص: 119-120.

<sup>85</sup>- Ablâ Gheziel, «Captifs et captivité dans la régence d'Alger (xviiie- début xixe siècle)», p : 4.

<sup>86</sup>- رحالة العالم الألماني ج. أو. هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس 1145هـ/1732م، تر: ناصر الدين سعيدي، تونس، دار الغرب الإسلامي، 2008، ص: 46.

<sup>87</sup>- مذكرات وليام شالر، ص: 99-100.

<sup>88</sup>- المصدر نفسه، ص: 99-100. وانظر تجميع شهادات أخرى في:

Moulay Belhamissi, Les Captifs algériens et l'Europe chrétienne: 1518-1830, p: 48-54.

<sup>89</sup>- انظر هذه التوصيفات في: فندلين شلوفر، قسنطينة أيام أحمد باي، ص: 24-28، 49-51، 58-60.

<sup>90</sup>- احميدة عميراي (مترجم)، مذكرات تيدنا، ص: 90-91.

<sup>91</sup>- Ablâ Gheziel, «Captifs et captivité dans la régence d'Alger (xviiie- début xixe siècle)», p : 5.

وانظر نماذج أخرى في: حفيظة خشمون، مهام مفندي الأسرى والتزاماتهم الاجتماعية في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية، ص: 109-110.

<sup>92</sup>- للمقارنة بين الوضع العلمي والتقني في الجزائر وفي فرنسا كإحدى الدول الأوروبية التي انخرطت في تحولات حضارية عميقة انظر الدراسة المميزة التي أنجزها خليفة حماش في تحليل أسباب نجاح الغزو الفرنسي للجزائر في: "قراءة في أسباب انهزام الجزائريين أمام الفرنسيين في معركة أوسطة والي في ذي الحجة 1245هـ/19 جوان 1830م"، المعالم، 16(2013)، ص: 173-213. وهو يقول ملخصا رأيه ص: 205: "أما مستوى العلوم في المجتمع الجزائري بوجه خاص وفي المجتمعات العثمانية

- بوجه عام آنذاك، فكل ما يقال عنه أنه كان في درجة عالية من التذني والضعف، ولا سبيل أبدا للمقارنة بينه وبين نظيره في أوروبا".
- 93- سيمون بفايفر، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، ص: 25-27.
- 94- فندلين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي، ص: 68-69.
- 95- المصدر نفسه، ص: 103.
- 96- ج ميتزون، يوميات أسر في الجزائر، ص: 54.
- 97- انظر ملاحظات متفرقة في: احميدة عمير اوي (مترجم)، مذكرات تيدنا، ص: 90-91؛ كاتكارث، مذكرات أسير الداوي كاتكارث، ص: 97؛ جيم ولسون ستيفن، الأسرى الأمريكان بالجزائر، ص: 180-181، 248؛ سيمون بفايفر، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، ص: 71، 75؛ فندلين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي، ص: 103.
- 98- احميدة عمير اوي (مترجم)، مذكرات تيدنا، ص: 90-91.
- John Foss, A journal, of the captivity and sufferings of John Foss, p: 75.
- 99- فندلين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي، ص: 25، 77، 103.
- 100- احميدة عمير اوي (مترجم)، مذكرات تيدنا، ص: 83.
- 101- John Foss, A journal, of the captivity and sufferings of John Foss, p: 59, 65.
- 102- سيمون بفايفر، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، ص: 45.
- 103- لخضر بوطبة (مترجم)، أسير نرويجي في مدينة الجزائر، ص: 95. ويمكن قراءة ما يتعلق بالتنصير القسري للأسرى المسلمين بأوروبا مثالا عن بيت التعميد الإيطالي الذي أسس سنة: 1543 لتنصير الأسرى المسلمين واليهود بدعم من البابا بول الثالث (باولو فرنيزي) عند: إبراهيم سعيود، الأسرى المغاربة في إيطاليا خلال العهد العثماني، ص: 191-226. وينظر عموما الصفحات من: 191-279. وانظر حول الموضوع إشارات إلى تباين الدول الأوروبية في إكراه المسلمين على تغيير دينهم في: Moulay Belhamissi, Les Captifs algériens et l'Europe chrétienne: 1518-1830, p: 35.
- 104- احميدة عمير اوي (مترجم)، مذكرات تيدنا، ص: 45-46، 127-128.
- 105- كاتكارث، مذكرات أسير الداوي كاتكارث، ص: 18.
- 106- مذكرات وليام شالر، ص: 99.
- 107- كاتكارث، مذكرات أسير الداوي كاتكارث، ص: 19، 23.
- 108- John Foss, A journal, of the captivity and sufferings of John Foss, p: 57-58.
- 109- ibid, p: 66.
- وانظر في الموضوع نفسه وما يتعلق به من السماح للمسيحيين بشرب الخمر وأكل لحم الخنزير: ج ميتزون، يوميات أسر في الجزائر، ص: 20-21، 28-29، 30؛ كاتكارث، مذكرات أسير الداوي كاتكارث، ص: 21، 96-97. ويلاحظ هنا أن الأسرى لا يتحدثون عن الإكراه لتغيير الدين خلافا لما نقرأه عند مقتدي الأسرى، ويمكن مراجعة ما كتبه هؤلاء في: حفيفة خشمون، مهام مقتدي الأسرى والتزاماتهم الاجتماعية في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية، رسالة ماجستير، إشراف: كمال فيلاللي، جامعة منتوري قسنطينة، 2006-2007، ص: 103-110.
- وانظر ايضا مناقشة هذا الزعم عند:
- Abla Gheziel, « Captifs et captivité dans la régence d'Alger (xviiie- début xixe siècle) », p: 5-6.
- 110- John Foss, A journal, of the captivity and sufferings of John Foss, p: 56, 58.
- 111- ج ميتزون، يوميات أسر في الجزائر، ص: 54.
- 112- John Foss, A journal, of the captivity and sufferings of John Foss, p: 52.
- 113- ج ميتزون، يوميات أسر في الجزائر، ص: 54.